

UNIVERSAL
LIBRARY

OU 190003

UNIVERSAL
LIBRARY

OUP-1700-8-11-77-7,000.

16

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. 9235142

Accession No. A. 591

Author محمد بن عبد الله

التكملة القديمة (ج)

Title

التكملة المخرجة من الله

This book should be returned on or before the date last marked below.

--	--	--	--

الخليفة المعز لدين الله

باني القاهرة ومنشىء الجامع الازهر

ما لبث مرترا وولد نصرانيا

ولكن كان حنيفا مساما

الاسلام دين الدولة

الدستور المصري م ١٣٨

ان الدين عند الله الاسلام

قرآن كريم

بقلم

الصحفي القريم الاستاذ (ح)

مكتشف السيدة المرقسية على المسامين

وهو كتاب

يشتمل على رد فرية مرقس سميقة باشا التي دسها في تقويم الحكومة سنة ١٩٣١ بتعميد الخليفة المعز لدين الله في كنيسة ابي سيفين ودفنه بها وتاريخ الخليفة واقوال كبار الكتاب ومباحث الصحف في هذا الموضوع واعتراف مرقس سميقة باشا بتكذيب نفسه اضطرارا

الخليفة المعز لمين الله

بأبي القاهرة ومنشىء الجامع الازهر

ما طاه مرتدا ولا نصرانيا

ولكن كان حنيفا مسلما

بقلم

الصفوى القريم (ح)

مكتشف الديرسة المرقسية على المسلمين

وهو كتاب

يشتمل على رد فرية مرقس سميكة باشا التي دسها في تقويم الحكومة سنة ١٩٣١
بتعميد الخليفة المعز لدين الله في كنيسة ابي سيفين وتاريخ الخليفة واقوال كبار
الكتاب ومباحث الصحف في هذا الموضوع واعتراف مرقس سميكة باشا
بتكذيب نفسه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٩ الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد المبعوث لتتميم مكارم الاخلاق. ونشر العدل والحرية في الآفاق . وأي عدل وأية حرية أكبر من قوله تعالى « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »

صدق الله العظيم

أما بعد : فما أ كبر خسارة أولئك الذين يشغلون انفسهم بتعكير الصفاء الانساني في محاولتهم تغيير عقائد الناس واديانهم !

ولو كانوا من أهل الخير حقيقة كما يتظاهرون لعرفوا ان هداية البشر الى المنافع وتنوير البصائر ورفع ما يستر سر الحياة عن عقولهم كل ذلك أعود بالنفع وأولى من تلك المحاولة التي لاطائل تحتها اليوم وقد طغى سيل المدنية حتى ا كتنسح أمامه أغراض أولئك المحاولين

أالدين لله والقلب مقر الدين وكل ما كان القلب مقرأ له فمحال اقتلعه منه لأنه يسري مع الدم في جريان دورته وهيئات أن يكون للجدل اليه من سبيل من أجل ذلك ينشأ النزاع الديني فتقوم المعارك على حواشيه ، فتغشى على العقل فلا يعود ينظر الى النتائج من خير أو شر

فالذين افتتنوا باثارة هذه المنازعات انما هم قوم أعداء للسلام أعداء للمحبة الانسانية اعداء للراحة والطأينة

ومن أظلم ممن دعا الى العتن يستثيرها بما يخرج به الناس فيما اطأنت له نفوسهم وتواضعت عليه رغباتهم فما كانوا إلا شياطين يوسوسون في الصدور يوغرونها على الغير

فما بالك بمن يقتحمون القبور على الاموات الهادئين في مرأقد الأبدية لينزعوا عن رؤوس سمعتهم أشرف تيجان طالما فخروا بها في حياتهم وكانت زادهم الى الله في دار الخلود

وصلت الى يدي نسخة من التقوم الذي أصدرته الحكومة المصرية عن عام ١٩٣١ بعد ان مضى نحو ثلثي العام وقد غم على الأمر فلم أعرف ما هو سبب هذا التأخير في اصداره ثم تضمينه إفكا كبيراً

تصفحت التكوين فبعثني فيه أمر ذو بال وهو ما أتى به المدعو مرقص سميكة باشا من أن الخليفة العالوي الفاطمي أمير المؤمنين المعز لدين الله فاتح مصر وباني القاهرة ومنشئ الجامع الأزهر تعمد بمعمودية الكتيسة أي ارتد عن الدين الإسلامي (والعباد بالله) ثم مات نصرانياً ودفن في كنيسة أبي سفين بمصر القديمة

بعثني هذا الأمر فرجعت الى ذا كرتي استحثها لترشدني الى هذه الفاجعة فما ارشدتني الا الى أن هذا الخليفة هو أقرب الخلفاء الى بيت نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ومهما قال المتخاصمون على الملك في اعدائهم فلم يجرأ أحد على أن ينسب الى ذلك الخليفة العظيم مثل هذه الفرية الكبرى وهو أجدر من يستطيع أن يقول : تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

رجعت الى كثير من الاسفار التاريخية الموثوق بصحتها اقبلها فما وجدت لهذه الفرية عينا ولا أثراً . وخلاصة جميع الروايات تقول في تفصيل للوقائع عن هذا الخليفة العظيم انه :

علم من اعلام الاسلام وقائع عظيم في الاوج الاعلى بين غزاته المسلمين ظهر في بلاد الموحدين ظهور الكوكب في أفق السماء يضيء المشرقين . هذا هو الخليفة المعز لدين الله أبو تميم معد المعهود له بولاية العهد من والده الخليفة (المنصور بالله أبو الطاهر اسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد عبيد الله العالوي الحسيني المتوفى في شهر شوال من سنة ٣٤١ هجرية في مدينة المنصورية عاصمة بلاد المغرب في ذلك العهد والمدفون في قصره بها)

والمعز لدين الله أول الخلفاء العالويين في مصر كان له غرام بعلم النجوم فكان يقرب المنجمين اليه وكان عالماً فاضلاً جواداً ذا شجاعة نادرة

فلما افضى اليه الامر بعد وفاة أبيه أقام في تديره الى السابع من ذي الحجة سنة ٣٤٥ ثم اذن للناس فدخلوا اليه وسلموا عليه بالخلافة وعمره يومئذ أربعاً وعشرين سنة وقد اتخذ عن أبيه حسن السيرة فكان عادلاً في رعيته منصفاً لها ومن الدلائل على حكمته ورجاحة عقله انه لما دخلت سنة ٣٤٦ وهو حديث العهد بالخلافة نظر في سيرة من تقدمه من الملوك والخلفاء فرأى أن جبل « أوراس » هو الملجأ الذي يتخذه كل خارج على ولى الامر فهياً عسكرياً وأصعده الجبل فجال فيه حتى هاب المعز كل

من في الجبل وأتوا اليه وبايعوه على الطاعة والولاء رهبا من بطشه ورجبا في رفته
واحسانه

أما جبل أوراس هذا فكان فيه أشد القبائل مراسا واعصام شكيمة ومنهم
بنو كملان ومليله وهواره وبالرغم من أنهم لم يدخلوا في طاعة ملك ولا خليفة من قبل
فقد أطاعوا المعز ودانوا له مع سائر من في الجبل
ومما يدل على حسن سيرته انه أمر نوابه ان يوزعوا الاحسان على البربر فجاؤه
من كل فج طائمين .

فلما استعبد الناس باحسانه وحسن منطق لسانه. عظم أمره وكبر شأنه على حداثة
سنه حتى أن أخاه محمد بن خزر الزناتي جاءه مع غيره مستأمنين فلم يبخل عليه بأمانه
مع ما كان بينها وزاد على ما أمل منه ان أحسن اليه

فلما عرف ان الامر قد انتهى اليه وان ملكه قد استوى على الجودي بدأ يسير
الجيوش لفتح الامصار كما كان الشأن في تلك العصور للغزاة والفتاحين وكان قد
أخذ بأحسن جوهر الصقلي من وزرائه وقواده لعظم مكانته عنده ففي شهر صفر سيره
في عسكر كثيف الى اقاصى المغرب وصبجه بمشاهير القواد ومنهم زيري بن مناد
الصنهاجي .

سار هذا الجيش المعزي حتى وصل الى « تاهرت » فحضر اليه يعلى بن محمد
الزناتي فأكرمه وأحسن اليه ولكنه انتقض بعد ذلك فأمر جوهر بالقبض عليه فثار
أصحابه فقاتلهم حتى هزمهم واقتنى اثرهم حتى وصل الى مدينة « افكان » فاقتحمها
بالسيف واستصفي قصور يعلى وأخذ ولده وكان صبيا كما أخذ ما في افكان وأمر
بهدمها واحراقها بالنار على طريقة الغزاة في ذلك العهد وذلك في شهر جمادى الآخرة
من تلك السنة

ولما تم له هذا النصر سار الى فاس وكان بها صاحبها احمد بن بكر فأغلق
أبوابها وتحصن خلفها فنازلها جوهر وقتلها مدة فلم تفتح له لشدة تحصينها وقوة معاقلها
ثم جاء الامراء الفاطميون من اقاصى السوس الى جوهر يحملون اليه الهدايا
والتحف . فأشاروا عليه بفك الحصار عن فاس والتوجه بجيوشه الى سجلماسة وكان

صاحبها محمد بن واسول قد لقب نفسه بالشاكر لله ويخاطب بأمر المؤمنين وضرب
النقود باسمه واستمرت له هذه الحال ستة عشر عاما
فلما قدم اليه جوهر بجيوشه ترك المدينة وهرب ولكنه قبض عليه في الطريق
وجيء به الى جوهر اسيراً
وما زال جوهر في فتوحه حتى انتهى الى بحر المحيط الاطلانطي وقد دانت
له تلك البلاد ثم عاد الى فاس فضيق عليها الحصار
ومن دلائل اخلاصه للمعز انه لما وصل الى شاطئ المحيط أمر باصطياد الاسماك
فاصطادوا له ما أراد ووضع السمك حياً في أوعية ماء من البحر وأمر بها فأرسلها
الى المعز ليدخل على نفسه السرور بأكل طعام شهوي من محصول البلاد التي
دانت له فتجأ

فتح فاس

بعد ان تم للقائد جوهر فتح البلاد الى شاطئ البحر المحيط عاد الى مدينة فاس
في سنة ٣٤٧ هجرية فقاتلها مدة طويلة فقام زيري بن مناد فاختر من قومه رجلاً
لهم شجاعة معروفة وأمرهم أن يأخذوا السلالم وقصد الى المدينة فصعدوا الى
السور الأدنى في السلالم وأهل فاس آمنون فلما صعدوا على السور قتلوا من عليه
من الحراس ونزلوا الى السور الثاني وفتحوا الابواب واشعلوا المشاعل وضربوا
الطبول وكانت العلامة بين زيري وجوهر فلما سمع جوهر الطبول يكب في العساكر
فدخل فاساً فاتحاً

أما صاحب فاس فانه استخفى ومضى عليه يومان ثم القي القبض عليه وأضيف
الى صاحب سجلماسة وارسلها جوهر كليهما اسيراً الى المعز في بلده المهديّة وكل
منهما في قفص من حديد

أما امارّة تاهرت فقد اعطاها جوهر الى زيري جزاء اخلاصه للمعز. ولدولته

فتح مصر

مضى نحو أحد عشر عاما علا فيها نجم المعز لدين الله وقد ارتفع سلطانه
وقويت شوكته بما تأثّل له من مجد وعظمة

وفي سنة ٣٥٨ سیر الى مصر القائد جوهر الذي اسلفنا ذكره في فتح فاس وجوهر كان قبل ذلك غلاما من بني الروم عند المنصور بالله والد المعز فهو ربيب نعمة ذلك البيت العظيم

وكان تحت إمرة جوهر جيش كثيف للاستيلاء على مصر . والسبب في ذلك انه لما مات كافور الاخشيدى صاحب مصر اختلفت القلوب فيها ووقع بها غلاء شديد حتى بلغ ثمن الخبز كل رطل بدرهمين والحنطة كل وية بدينار وسدس دينار مصري

فلما بلغت تلك الحال السيئة مسامع المعز لدين الله وهو في بلاد المغرب سير جوهر آ اليها لاتقاذها من محتتها وقد هون عليه الأمر طمعه بامتلاكها وكانت شهرة هذا القائد قد طبقت الآفاق

فلما وصل خبر قدومه الى العساكر الاخشيدية بمصر وحالتهم وحالة البلاد كما وصفنا تعلقوا باذيال الهرب جميعا قبل وصول الجيوش اليهم دخل جوهر مصر في السابع عشر من شهر شعبان سنة ٣٥٨ فدعا اهلها اطاعة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وكان بدء دعوته في شوال

أما الذي جهر بالدعوة على منبر الجامع العتيق (جامع عمرو) فهو الخطيب أبو محمد عبد الله بن الحسين الشمشاطى

وفي جمادى الاولى من سنة ٣٥٩ سار جوهر بنفسه الى جامع ابن طولون وأمر المؤذن فأذن « حي على خير العمل » وهو أول ما أذن به في مصر ثم امتد الأذان بعد ذلك الى الجامع العتيق وجهر في الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم

بناء القاهرة

ولما استقر جوهر بمصر شرع في تخطيط القاهرة وبناء الجامع الازهر واعماله كثيرة في هذا الباب غير منكرة

امتلاك المعز لمصر وبيروت الشام

فتح الرملة

لما استقر القائد جوهر بمصر وثبتت قدمه فيها جهز لجعفر بن فلاح الكتامى

جمعا كبيرا ووجهه به الى الشام فبلغ الرملة في فلسطين في ذي الحجة من هذه السنة وكان بها محمد ابو الحسن بن عبد الله بن طفح فجرت بينهما حروب انتهت بانتصار جعفر بن فلاح وأسر بن طفح وغيره من القواد فسيرهم الى جوهر بمصر وهذا بعث بهم الى المعز بافريقيا

دخل جعفر الرملة فاتحاً وقتل كل من قاومه، أما المسلمون فانه أمنهم على أموالهم وأرواحهم مقابل دفع الخراج
طبرية مساله

وسار جعفر الى طبرية فوجد صاحبها ابن الملهم قد دعا الى طاعة المعز لدين الله فتركه على حاله راضيا منه باقامة هذه الدعوة المعزية

دمشق تقاثل

ما كاد جعفر يصل الى دمشق حتى قابله أهلها مقاتلين ولكنه تغلب عليهم وأعمل سيفه فيهم حتى ظفر بهم مغلوبين على أمرهم وأمر جنوده بنهب البلد جزاء مقاومة أهلها ولكن قريبا منهم أظهروا الطاعة فكف عنهم شر الجنود ثم أمر باقامة الخطبة في الجامع الاموى باسم الخليفة المعز لدين الله يوم الجمعة من أيام خلت من شهر المحرم سنة ٣٥٩ وبذلك قطعت الخطبة باسم الدولة العباسية في عاصمة الامويين

الفتنة

وكان في البلد رجل جليل القدر اسمه الشريف أبو القاسم بن أبي يعلى الهاشمي وهو رجل له خطر في المدينة وجيل قدر وحكمه نافذ في اهلها فجمع أحداث البلد وكل من ينجح للفتنة ثم اتفقوا على أمر بيتونه لجعفر ذلك أنه في يوم الجمعة التالية سار الى الجامع وأبطل الخطبة للمعز لدين الله وأعاد الخطبة باسم المطيع لله ثم لبس السواد علامة على الحزن وعاد الى بيته

فلما وصل الخبر الى جعفر أمر بقتاله هو ومن معه فالتحم الفريقان في ملحمة حامية الوطيس وقد أظهر أهل دمشق شجاعة وصبراً على القتال حتى آخر النهار فلما كان في الغد تزاحف الفريقان واستأنفوا القتال فكثرت القتل في الفريقين غير أن

جنود جعفر تغلبت على أهل دمشق فانهزموا بين أيديهم حتى وصلوا الى أبواب دمشق حيث التقوا بالشريف ابن أبي يعلى وكان يحرض دمشق على القتال ويأمرهم بالصبر على حملات جنود المغاربة المتواصلة

غير أن تلك المقاومة لم تجد نفعا أمام الملك القوي التي تخر لعزماها الجبال وصل جنود جعفر الى المدينة فدخلوها فأنهين واستولوا على قصر الحجاج وما فيه من متاع وهرب الشريف بن أبي يعلى ومن معه ممن اشتركوا في الفتنة فأصبح أهل دمشق حيارى وليس بينهم من يرجعون الى رأيه ولا بين أيديهم من استعد للقتال عنهم

ولكن استخفاء الشريف بن أبي يعلى عن عيون الدمشقيين ما كان الا للوصول الى جعفر بن الفلاح ليكلمه في الصلح فقبل منه وأعادته الى المدينة لتهدئة الاحوال وتسكين الناس وتطيب قلوبهم وأن لا ينالهم من الفائد الا الجليل عاد الشريف ابن أبي يعلى الى الدمشقيين وأبلغهم ما فعل وطلب الى العامة والجنود أن يلازموا منازلهم وأن لا يخرجوا منها الى أن يدخلها جعفر وجنوده ويطوف فيها ويعود الي معسكره ففعلوا ذلك امتثالا للامر

فلما رأى عسكر جعفر أنفسهم في البلد ظافرين أسكرتهم خمرة النصر فركبوا رءوسهم وحملهم الطيش على أن يعيشوا في البلد فساداً فثاروا فيها وحموا عليهم ووضعوا السيف فيهم فقتلوا منهم جماعة وكان الحريق قد أتى على عدة كبيرة من الدور لاشتغال القوم بالحرب عن اطفاء النار ثم شرعوا في تحصين المدينة حيث حفروا الخنادق صيانة لها من المهاجمين واستعدوا للحرب والكفاح

فأمسك المغاربة عن الهجوم عليهم فمشوا الدمشقيون الى الشريف فطلبوا اليه ان يسعى فيما يعود بصلاح الحال فهدأ روعهم وانظرهم الى يوم الخميس بعده وهو الواقع في ١٦ ذي الحجة سنة ٣٥٩

وفي يوم الجمعة ناليه دخل جعفر بن فلاح المدينة فصلى مع الناس وسكنهم وطيب خواطرهم وطأن قلوبهم والقي القبض على جماعة من الاحداث الذين عزبت اليهم الفتنة . وفي المحرم قبض على الشريف بن أبي القاسم بن أبي يعلى الهاشمي حيث وصل الى سمعه كل ما فعل تم سيره الى مصر . وبذلك استقر الامر في دمشق

قدوم المعز لدين الله

الى مصر

رأى المعز لدين الله - بعد ان تم لجيوشه فتح مصر والشام وارتفاع شأن دولته ان يقدم الى مصر وكان ذلك في سنة ٣٦١
قام من أفريقية في أواخر شوال وهي أول رحلة من المنصورية التي بها قبر أبيه المنصور ثم نزل في سردانية وهي قرية قريبة من القيروان وبها انتظر رحاله وعماله وأهل بيته فجاؤا اليه ومعهم كل متاعه الذي كان بالقصر والاموال التي في الخزائن وكانت شيئاً كثيراً ولكثرة الدنانير وتعذر نقلها بغير نقص في الطريق سبكت سبائكها على هيئة احجار الطواحين مستديرة ومفرغة من الوسط ووضعت على الجمال كل اثنين فوق ظهر جمل

ولما تم للمعز بين يديه كل متاعه في سردانية سير ركبته بعد ان عهد ببلاد أفريقيا الى يوسف بلكين بن زيري مناد الصنهاجي الحميري واستعمله عليها في غيبته ثم جعل على جزيرة صقلية حسن بن علي بن أبي الحسين . ولم يعين أحداً على اجدايبا ولا على سرت

وجعل على طرابلس عبد الله بن انجلف الكناني وكان أسيراً عنده ثم عهد بمجاية أموال أفريقيا الى زيادة الله بن القديم

وعهد بالخراج الى عبد الله الخراساني وحسين بن خلف الموصدي وأمرهما بالانقياد الي يوسف بن زيري

وبعد ان رتب أموره على هذا النمط وهو بسردانية مدة أربعة أشهر رحل عنها وفي ركابه يوسف بلكين وهو يوصيه بما يفعله في ادارة الحكم وغير ذلك من اقامة العدل بين الناس ثم أمره بالرجوع الي عمله

وما زال المعز سائراً بجيوشه حتى دخل طرابلس الغرب وهناك تخلف عنه جماعة من الجند الي الجبال فتركهم ثم سار الي برقه وأقام بها فترة ثم رحل المعز لدين الله من برقه الى الاسكندرية فدخلها في أواخر شعبان سنة ٣٦٢

وقد تلقاه أهلى الاسكندرية وأعيانها فلقبهم واكرمهم وأحسن اليهم ثم سار الى القاهرة فدخلها في الخامس من شهر رمضان سنة ٣٦٢ وأنزل عساكره في مدينتي مصر القديمة والقاهرة الجديدة التي اختطها جوهر القائد فضاقتنا عن العساكر ف ضرب خياما في الفضاء نزلت بها بقية العساكر ولما دخل المعز لدين الله القصر الذي بناه له جوهر وسار في غرفه خر ساجداً لله وصلى ركعتين شكرأ له تعالى على ما هيا له في مصر من ملكها وتبوء عرشها . وهذا ما يفعله المسلم الذي يؤمن بالله واليوم الآخر

المعز لدين الله يحارب القرامطة

وبعد ان استقر المعز لدين الله في مصر قدم من الاحساء الى الديار المصرية الحسن بن احمد القرامطي لمجاصرتها والاستيلاء عليها واباحتها لاتباعه القرامطة على طريقتهم (١)

فلما سمع المعز لدين الله بقدوم القرامطة الى مصر وكانوا اذا قصدوا بلداً لا يرجعون عنه حتى يملكوه ويبيحوه لاتباعهم فكتب المعز كتابا الى الحسن بن احمد كبير القرامطة يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته بنى فاطمة الزهراء وانه اذا كان يدعو حقاً لشيعة على بن أبي طالب فهو جده وتكون الدعوة واحدة لان القرامطة يتدربون في قيامتهم بالدعوة له ولا بائه من قبله ثم وعظه وختم كتابه بالتهديد لكل من يقدم الى مصر معاديا

(١) ابتداء أمر القرامطة في سنة ٢٨٦ هجرية بظهور رجل يعرف بأبي سعيد الجنابي في البحرين وقد اجتمع اليه جماعة من الاعراب مع اتباعه فقوى بهم أمره ولما آنس من نفسه القوة فتك بمن حوله من أهل القرى ثم سار الى القطيف. وشرح حال هذه الطائفة يكاد يشابه من الوجهة الاجتماعية حال البلاشفة اذ بدلا من ظهور لينين في روسيا ظهر يحيى بن المهدي ثم سار الى القطيف فنزل على رجل يعرف باسم علي بن المعلى بن حمدان مولى الزياديين وكان يغالي في التشيع لعلي ابن أبي طالب فأظهر له يحيى انه رسول المهدي المنتظر وانه خرج الى الشيعة في البلاد يدعوم الى أمره لأن وقت ظهوره قد قرب

فلما وصل كتاب المعز الى القرمطى أجاب عليه بقوله
وصل كتابك الذي قل تحصيله وكثر تفضيله ونحن سائرون اليك على
أثره والسلام

ثم أرسل الى الشيعة في بلاد البحرين وبينهم أبو سعيد الجنابي الذي اشرنا اليه آنفا
وكانت مهنته في ما بين النهرين ان يبيع الطعام للناس ويكتب للتجار ويحسب لهم ما باعوا به
ولما صدق علي بن المعلى هذه الدعوى أرسل الى الشيعة من أهل القطيف يجمعهم
ليحيي بن المهدي وكان قد غاب مدة عن القطيف وعاد معه كتاب قال انه من المهدي
يقول فيه كاتبه انه هو المهدي المنتظر في آخر الزمان

وقد بعث بهذا الكتاب الى شيعته وان يحيي رسوله قد عرفه بمسارعتهم الى
أمر المهدي فليدفع كل رجل منهم الى رسوله يحيي بن المهدي ستة دنانير وثلثي
دينار من أموالهم فدفعوا اليه . وبذلك نتشرت الدعوى . وبعد ذلك غاب يحيي
مدة ثم عاد الى القوم ومعه كتاب يزعم انه من المهدي يقول فيه ادفعوا اليه خمس
أموالكم فدفعوا اليه الخمس

أما يحيي هذا فكان يتردد في قبائل قيس ويقدم اليهم كتباً يزعم أنها من
المهدي وانه ظاهر ولتكن شيعته على أهبة اللقاء

أما اباحية القرامطة فقد روى عنها راوية يقال له ابراهيم الصايغ قال أن يحيي
ابن المهدي هذا نزل على أبي سعيد الجنابي بعد غيبة فلما أكلوا الطعام خرج أبو سعيد
من بيته بعد ان أوصى امرأته . بيحيي خيراً وان لا تمنعه نفسها ان أرادها ثم
بات ليلته خارج بيته حتى ينفرد يحيي وحده ويخلو بزوجة أبي سعيد الجنابي

وقد انتهى خبر هذا الحادث الى الوالي فقبض على يحيي بن المهدي فضر به
وحلق رأسه ولحيته نكالا به وسخطا على تعاليمه الاباحية

أما أبو سعيد فهرب الى جنابا بلده مستخفيا حتى اجتمع بيحيي الذي صار
الى قبائل بني كلاب وعقيل والحريس وقد عظم أمر أبي سعيد بعد ذلك
وكانت له جيوش في البحرين واغاروا على بلاد هجر حتى اقتربوا من البصرة
وما زالوا يشنون الغارات على البلاد والمدائن في فارس

ولقد عظم شأن القرامطة حتى هددوا الممالك وأذلوا الملوك ودوخوا الامصار

ولم يكد الخطاب يصل الى يد المعز حتى كانت جيوش القرامطة مخيمة في عين شمس فنشب القتال حيث تسرب القرامطة الى داخلية البلاد وكثرت جموعهم فصاروا يعيثون في ارضه مصر فساداً على طريقهم وهي ان كبير القرامطة اذا ضرب خيامه في ناحية معسكراً اجتمع عليه خلق كثير من العرب والعجم ليشاركوا القرامطة في النهب والسلب والاستمتاع بالنساء ويتبادلها فيما بينهم

فلما خيموا بعين شمس كما أسلفنا كان ضمن من اجتمع بهم من عرب الشام حسان الجراح الطائي أمير العرب بالشام ومعه جمع عظيم فلما رأى المعز كثرة جموع القرامطة استعظم الامر وأهمه وتريث في اخراج جيوش مصر للقتال ضناً بدمائهم ثم أخذ يستشير أهل الرأي من الناصحين له فاشاروا عليه بالسعي بتفريق كلمتهم وإلقاء الخلف بينهم وان ذلك يكون عن طريق ابن الجراح

فكتب المعز اليه واسأله وبذل له مائة ألف دينار ان هو خالف على القرمطي فأجابه ابن الجراح الى ما طلب فاستحلفوه فحلف مشروطاً وصول المال وانه اذا وصل المال المقرر انهزم بالناس

فأحضر المعز المال فلما رأوه رأي العين استكثروه فضربوا أكثرها دنانير من النحاس وألبسوها الذهب وجعلوا الدنانير المغشوشة في أسفل الأكياس ودنانير الذهب الخالص في اعلاها ولما حملت الاموال الى ابن الجراح أرسل الى المعز أن يخرج في عسكره للقتال في يوم عينه وانه سيقاتل في وجهة عينها هي الأخرى وفيها ستكون الهزيمة لجيوش القرامطة

ولما حان وقت القتال وألتقى الجمعان حمل المعز بجنوده على جيوش القرامطة في الناحية التي عينها ابن الجراح فحمل عليهم المعز حملة صادقة فانهزم عرب الشام وتبعتهم سائر العرب

فلما رأى الحسن القرمطي انهزام العرب تحير في نفسه وقاتل بعسكره إلا أن الروح المعنوي في جنود المعز ارتفعت فحملت على القرمطي وجنوده من كل جانب حتى أرهقوه فولى منهزماً فاتبعوا أثره حتى ظفروا بعسكره فأخذوا من فيه أسرى فكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير فأمر المعز بضرب أعناقهم جميعاً والاستيلاء على ما في المعسكر

ثم جرد المعز القائد أبا محمد بن ابراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل وأمره
بالحاق بالقرامطة والايقاع بهم فاتبعهم وتثاقل في سيره خوفاً أن تكرر القرامطة
راجعة اليه فتقضى عليه

أمامهم فساروا الى أذرعات ومنها قصدوا الى الاحساء بلدتهم ونجى الله مصر
من عبثهم بعزيمة المعز لدين الله ودهائه وأخذ بمبدأ الشورى

في دمشق

لما بلغ المعز لدين الله نبأ انهزام القرامطة في الشام وعودة زعيمهم وفلول جيوشهم
الى الاحساء أرسل القائد بن ظالم بن موهوب العقيلي واليا على دمشق فدخلها
فالتفت حوله الجموع وكثر ماله وصلح حاله وسببه انه كان باقياها جماعة من القرامطة
ومنهم أبو النجا وابنه وجماعة من الاتباع فألقي ظالم القبض عليهم وحبسهم وأخذ
الاموال التي جمعوها وما ملكت ايمانهم من كل شيء

أما القائد أبو محمود الذي سيره المعز لاقفاء آثار القرامطة المنهزمين فدخل
دمشق بعد وصول ظالم اليها بايام قليلة فخرج ظالم الى لقائه فرحا بقدمه آملا في
معاوته اذا عاد القرمطي بجيوش جديدة وطلب اليه ان ينزل عسكره بظاهر دمشق
وسلم اليه ما عنده من أسرى القرامطة فحملهم ابو محمد الى مصر وكان بين الاسرى
رجل يقال له الثنا بلدي هرب من الرملة وتغرب الى القرمطي ودخل معه دمشق ثم
أقام فيها حتى جاء ظالم وأسره مع بقية القرامطة فلما سجن بمصر قال له أبو محمد لقد
بلغني عنك انك قلت اذا كان معك عشرة اسهم رميت الروم بواحد منها وأما
التسعة فارى بها جيوش المعز المغاربة فقال نعم فحكم عليه بسلخ جلده وحشوه تبنا
وصلبه .

بنود أبي محمود في دمشق

بقي الجنود في ظاهر دمشق كما طلب ابو ظالم من قائدهم فلما مكثوا وقتا امتدت
أيديهم بالعبث وقطع الطريق فاضطرب الناس وخافوا
وقد اتفق ان صاحب شرطة دمشق قتل رجلا فثار عليه الغوغاء والاحداث

وقتلوا أصحاب الشرطى فاضطرب حبل الامن غير ان ظلما اخذ يداري الرعية وكان
أهل القرى قد نزحوا الى دمشق لنهب المغاربة الذين مع أبي محمود أموالهم وظلمهم
لهم . ثم دخلوا دمشق فكان ذلك سبباً في وقوع فتنة عظيمة في نصف شوال
بين عسكر أبي محمود وبين أهل دمشق وقد نشبت الحرب بين الفريقين الا أن ظلما
كانت ضلعه مع الدمشقيين

غير ان المغاربة اتباع أبي محمود لم يكنوا أذاهم فأخذوا قافلة كانت سائرة
بالغوطة بجوار دمشق وهي قادمة بمحمولها من حوران وقتلوا من رجالها ثلاثة كانوا
يدودون عنها فجاء أهل القتلى وحلوا جثثهم ووضعوها في الجامع ليراها المصلون
فكان ذلك سبباً في الفرع فاغلقوا الاسواق وتحفز الناس للقتال فهدأهم عقلاؤهم

فحاول المغاربة نهب قونيه واللؤلؤة فوق الصامخ في أهل البلد فنفروا وقتلوا
المغاربة وفي السابع عشر من ذي القعدة ركب أبو محمود في جموعه فزحف الفريقان
بعضهم الى بعض غير ان المغاربة تغلوا على الدمشقيين فانهزموا بين أيديهم الى سور
البلد وصبروا عنده على القتال فخرج اليهم من تخلف عنهم وتعاونوا على رشق المغاربة
بالنشاب فأنخنوهم جراحاً فترجعوا بين يدي الدمشقيين وهم يلاحقونهم ولكن
المغاربة كروا على العامة فهزموهم حتى اعادوهم الى اسوار دمشق فبرز ظالم من دار
الامارة فحميت معاطس المغاربة فألقوا النار في دمشق من ناحية باب الفراديس
فأحرقوا تلك الناحية وأخذت النار الى القبلة فأحرقت كثيراً من البلد وهلك جماعة
من الناس وما لا يحصى من الاثاث والاموال والرجال والدواب

وقد بات الناس على اقبح صورة ، غير ان ذلك كان سبباً في الصلح بين
الفريقين ولكنه صلح لم يدم فانتقض المتصلحون وما زال كذلك الى ربيع
الآخر سنة ٣٦٤ فتجددت الفتنة وترددوا في الصلح فاستقر الامر بين القائد
أبي محمود والدمشقيين على اخراج ظالم من البلد وان يقوم بالامر بدلا منه
جيش بن الصمصامة (وهو ابن اخت أبي محمود) وتم الاتفاق على ذلك
وخرج ظالم من البلد فسكنت الفتنة بعد ان ولي الأمر جيش بن الصمصامة
فاطمان الناس

غير أن المغاربة عاثوا في البلد فساداً بعد أيام في باب الفراديس فثار عليهم

أهل دمشق وقاتلهم وقتلوا من لحقوه وساروا الى قصر بن الصمصامة فهرب منه هو ومن معه من الحرس المغربي ولحق بعسكر خاله فلما كان من الغد وهو أول جمادى الاولى زحف بن الصمصامة في العسكر على دمشق وقاتل اهلها فقاوموه ولكنه ظفر بهم وهزمهم وأحرق من البلد ما كان قد سلم من الحريق الاول . وقد دام القتال بينهم أياما كثيرة وخربت المنازل وانقطعت المواد الغذائية وسدت المسالك وبطل البيع والشراء وقطع الماء عن البلد فبطلت الفنوات والحمامات وبنات كثير من الفقراء على الطرقات من الجوع والبرد . ولكن هذا الكرب لم يدم وجاء الفرج من مصر بعزل أبي محمود عن قيادة العسكر

والسبب ان بلغ المعز ما قام في دمشق من القتال والتخريب فاستنكر منه الفظائع واستبشعها واستعظم حصولها فأرسل الى القائد ريان الخادم والي طرابلس يأمره بالمسير الى الشام لمشاهدة حالها وتحقيق ما وصل الى علمه من أمرها وكشف أمور أهلها وتعريفه بحقيقة الأمر وأن يصرف القائد أبا محمود عنها فامتثل ريان الأمر وسار الى دمشق وكشف الأمر وكتب به الى المعز وتقدم الي أبي محمود بالانصراف عنها فسار في جماعة قليلة من عسكره الى الرملة وبقي أكثر العسكر مع ريان

موت المعز لدين الله

استقرت الحال في الملك للمعز الى ستة وخمس وستين وثلاثمائة حتى السابع عشر من ربيع الآخر من هذه السنة اذا ادركته الوفاة فكانت مدة حكمه ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام قضى منها في مصر سنتين وتسعة أشهر وقد ولد المعز في المهديّة من أعمال افريقية في الحادي عشر من شهر رمضان سنة ٣١٩ تسع عشر وثلاثمائة وله من العمر خمسة وأربعين سنة وستة أشهر تقريباً وهو أول الخلفاء العلويين الذي ملك مصر ودخلها وكان عالماً فاضلاً وله معرفة بعلم الفلك والنظر في النجوم وهو جواد كريم شجاع حسن السيرة كايه الخليفة المنصور العلوي صاحب افريقيا . وكان الخليفة المعز منصفاً للرعية عادلاً في أحكامه

فرحه الله رحمة واسعة .

وقد خلفه على الملك ولده العزيز بالله . والملك لله الواحد القهار
قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
هذا ما يكاد يجمع عليه المؤرخون لتاريخ الخليفة المعز لدين الله
إلا ان التقويم زعم ان الخليفة تعمد بمعمودية كنيسة أبي سيفين . كبرت كلمة
تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا

وانها لفرية تشق لها الارض وتميد بل تخر لها الجبال هدأ
انتظرت أن يقوم أحد من أجلة العلماء المسلمين أو كبار الكاتين متصدياً لنفي ذلك
الكذب عن أكبر خليفة له أثر عظيم لا يزال قائماً بين ظهرانينا وانها لا آثار تشهد
له بالعظمة الاسلامية وحسبه فخراً أن يكون من آثاره أكبر وأقدم جامعة علمية
في الشرق والغرب معاً وهي الجامع الازهر

طال انتظاري فلم أجد أحداً تصدى لهذا الشأن كأن السياسة قد أهت الناس
عن كل شيء فصرفتهم عن الانتباه لأخص الامور واولاها بالعناية
تقدمت وأنا الضعيف الشأن الصغير القدر لهذا الأمر الخطير فأنشأت فصلا
ضمنته رأبي في هذا الموضوع ملفتاً الانظار الى تلافى هذا الخطأ الفاضح في التاريخ



وقد نشرت جريدة الثغر هذا الفصل في عددها الصادر يوم ٥ أغسطس سنة ١٩٣١ افتتاحية لهذا العدد واليك نصه :

هل تنصر المهزلبين الله الفاطمي الحسيني

منشيء الجامع الازهر

هذا ما يقوله في تقويم الحكومة قبلي متعصب

وهل يليق أن يصدر ذلك عن مطبوعات الحكومة الرسمية ؟

في الناس أفراد لا يسبق لهم قرار إلا إذا أثاروا الفتن بين الشعوب لطبيعة في نفوسهم أقل ما يقال فيها أنها نزعاً الى الشر الذي تلتظي ناره أبداً ، فإذا خمدت بمرور الزمن هبت عليها رياح تلك النزعة فاشتعلت اشتعالاً ومن أولئك الافراد مرقس سميكة باشا فهو لا يطيب له عيش ولا يهدأ له بال إلا اذا وجه الى المسلمين الاذى بقدر ما يستطيع من حول وحيلة

كان موظفاً بالحكومة في عنقوان شبايه فخلع ما عليه من ملابس الموظفين وارتدى ملابس المبشرين بل كان أشد نكالا على مرءوسيه المسلمين من أشد المبشرين تعصباً ، ولقد أطبق على هؤلاء الضعفاء بما توافر له من السلطة والنفوذ حتى صاحوا من الالم تلك الصيحة التي اقتلعت الاوتاد وظهر ماتحت الخيام من الاستبداد

وما تكشف أمره إلا عن فضائح « السكة الحديدية » فأقيل من وظيفته الكبرى وأخذ أولياء الامور في معالجة الجراح الدامية التي أحدثها نعبه في تلك المصلحة

مضت السنون يلاحق بعضها بعضا ولكن كير الزمان لم يستطع أن
ينق خبث حديد تلك النفس التي طبقت على الشر واطمأنت اليه اطمئنانا
أصدرت الحكومة تقويما لهذا العام قام بنشره قلم نشر مطبوعات
الحكومة وطبعته المطبعة الاميرية ووزعته وزارة المالية ، وان تقويما مثل
هذا يجب أن يكون في مأمن يناي به عن أقلام ذوي الاغراض ومخاصة
من لهم سوابق في أذى المسلمين حتى استحقوا أن يبدوا عن وظائفها أمثال
مرقس سميقة باشا المشهور بتعصبه ضد المسامين من زمن بعيد

تجاوزنا ما شاهدناه على غلاف التقويم من رسم الصليب داخل دائرة وقلنا ان
الفن قضى يجعل هذه الدائرة حلينة وسامنا بار ذلك قديا أتى عفوا لكل مبدع فنان
ولما رأينا التقويم محلى بصورة جلالة الملك فؤاد الاول حفزنا ذلك
الى الامعان في المطالعة ولكننا صدمنا صدمة عنيفة عندما وجدنا فصلا عن
الكنائس بقلم مرقس سميقة باشا وخطر لنا انه لا بد أن يكون قصد
قصداً سيئاً بالمسامين كعادته ، واتفاق المسامين والقبط وتأزرهم في الشدة
والرخاء في العهد الاخير لا يؤثر في أمثال الباشا من المتعصبين

ففي الصفحة الحادية والسبعين بعد المائة من التقويم قال في كلامه على
كنائس دير أنى سيفين

« ان هناك كنيسة صغيرة بها أحجية من العصر الفاطمي محلاة »
« بنقوش بارزة تمثل القديسين ومعمودية يقال ان الملك المعز لدين الله »
« تعمد فيها سراً » .

ولا جرم ان هذا يقال لزارى تلك المعاهد من الامريكين والاوروبيين
وقد حاولنا أن نرى ذلك المصدر التاريخي المشتغل على هذه الاكذوبة

الفضيحة على مؤسس دولة الفاطميين الاسلامية في مصر فلم نجد له اشار الى ذلك مطلقا فالعمودية هي أساس النصرانية . فاذاً يكون المنز لدين الله الذي انشأ الجامع الازهر قد صار نصرانياً إذ بهرته مناظر تلك الكنيسة وما فيها من النقوش البارزة كما بهرته الاحجية المطعمة بالعاج المنقوش بنقوش هندسية جميلة يتخللها الصليب ، ولعل الرسم الذي على غلاف التوقييم منقول عنه ولقد أنساه ذلك ماله من بسطة الملك المطل على المحيط الاطلانطي مشتملا على شمال افريقيا : « مراکش والجزائر وتونس وطرابلس وبرقه » ومصر والشام وما والاها

ان المنز لدين الله لم يكن أمره بالهين على المسلمين حتي تقترى عليه مثل هذه الفرية الفظيعة في كتاب رسمي إذ هو فضلا عن كونه من السلالة الفاطمية الشريفة فانه أكبر عاهل اسلامي ظهر في القرن الرابع الهجري . وفي نحو منتصف هذا القرن قرع سمعه وهو في أقصى المغرب ما أمست فيه مصر من الكرب والفتن والغلاء بعد وفاة كافور الاخشيدي حاكمها فسارع الى نجاتها بجيش جرار عقد لواءه للقائد أنى الحسن جوهر الصقلي فاستولى على مصر باسمه ثم سارت جنوده الى الشام فامتلكتها رغم ما كان فيها من الفتن والحروب

وعند ما قدم الى مصر بعد ان استتب له الملك قبل وفاته بأقل من ثلاث سنين كان معه جند عظيم ضاقت به مصر ومال وفيه اضطر لوفرتة الى أن يحول الدنانير سبائك من الذهب على أمثال حجارة الطاحون ويجعل كل اثنين منها حمل بعير وكان ملكه ممتداً في البحر الابيض المتوسط يشمل كثيراً من جزائره وعساكره منصوره في كل مكان سارت اليه

فهل هذا اذا وصل الى مصر يبهره منظر احدى الكنائس القبطية الصغيرة فيرتد عن دين الاسلام ويترك القمامصة والقساوسة يغطسونه في ماء المعمودية ليصبح نصرانيا بلا بحث ولا جدال ثم لا يعلم بذلك إلا مرقس سميكة باشا؟

لو كان للقبط يومئذ سلطان يخشاه أو علم يبهر العقول لكان في الامر نظر، فكيف ولم يكن من ذلك شيء لا كثير ولا قليل؟

ففي العهد الذي دالت فيه الدولة الاخشيديية وحلت محلها الدولة الفاطمية وسلطانها ممدود الرواق غربا وشرقا كان القبط في ذل يستحقون معه الرحمة فهل يحىء العاهل الاعظم والخليفة الا كبررب الجيوش الفائزة والمساكر المنصورة فيخلع نعليه ويمشي حاسر الرأس مطأطئا ليطسوه في ماء المعمودية ليتبدل المسيحية بالاسلام - الله أكبر - انها القرية بالغة لا يستطيعها إلا مرقس سميكة باشا ولا يسفيها إلا تعصبه العميق، ولكن كيف جاز أن تشاركه في ذلك احدى مصالح الدولة الاسلامية؟

هذا بلاغ للناس قد بيناه فخرجنا به من تبعه العلم والسكوت، فعلى رجال الازهر الشريف من طلبة وعلماء أن يتولوا الامر بانفسهم لانهم هم الذين يتفياون ظللا وارفا مده المعز لدين الله بل هم وحدهم الذين امتلكوا تراثا تركه للمسلمين منذ نحو ألف من السنين. نعم عليهم أن يدافعوا عن عقيدته التي لقي الله عليها والمعروف انها العقيدة الاسلامية وما شاد المعز هذا الجامع إلا لحفظ هذا الدين القويم، فعلى الازهريين عامة ومشيخة الازهر خاصة أن يسعوا في القضاء علي هذه القرية بابادة ذلك التقويم الذي صدر بعد ان مضى من العام الذي خصص له سبعة أشهر وكان مما لا يضر

أن تبقى الشهور الخمسة من غير أن يكون لها مثل هذا التقويم الاثيم ،
والآن لقد بلغت. فاللهم اشهد فأنت على كل شيء شهيد « ح »

لم تكذ جريدة الثغر تتداولها الايدي حتى هب الكرام الكاتبون يسلقون
هذا المفتري المدعو مرقس سميكة باشا بألسنة حداد وكان أول من استجاب للدعوتي
صاحب الصوت العالي شيخ العروبة الاستاذ احمد زكي باشا فبعث الى جريدة الثغر
فصلا اثني فيه عليها وعلى هذا الصغير كاتب هذه السطور واني لاضاعف له الثناء
جزاء دفاعه عن ذلك المقام الاسلامي العظيم وبما رد به على ذلك الافاك .



وكذلك بعث بنفس المقال الى جريدة الاهرام فنشرت الجريدتان فصله في يوم واحا، واليك نصه :

مقالة احمد زكي باشا الاولى

اسطورة قبطية كذابة

أ كذوبة مرقس باشا سميكه

على المعز لدين الله الفاطمي

— ١ —

جاء في جريدة الثغر الغراء الصادرة بالامس مقال قيم عن الاكذوبة التي تحمل وزرها صاحب السعادة مرقس سميكه باشا عضو لجنة الآثار العربية، وزميل مجمع الاثريين بلندن، ومؤسس المتحف القبطي. فقد زعم سعادته انه يقال أن الخليفة المعز لدين الله مؤسس الازهر الشريف قد تنصر وتناول ماء المعمودية في كنيسة صغيرة بدير أبي سيفين بمصر القديمة

نشر الباشا هذه الاضولة الشنيعة في وثيقة رسمية هي «تقويم الحكومة المصرية» الذي يتولى نشره على جميع المصالح الرسمية «قلم نشر مطبوعات الحكومة المصرية»!! وهذا التقويم مبثوث في الجماهير بألاف وآلاف النسخ نعم أن صاحب السعادة سميكه مرقس باشا قد احتاط احتياط النعامة في البيداء، فكتب في هذه الوثيقة الحكومية الرسمية « ويقال أن المعز لدين الله تعمد سرآ في تلك الكنيسة الصغيرة اللطيفة »

فرضى الله عن جريدة الثغر الغراء ورضى الله عن الفاضل المقدم الذي كتب الرد في تلك الصحيفة الصباحية وان كان بخل علينا باسمه الكريم مكتفياً بحرف (ح) ورضى الله عن الصديق الغيور الذي تفضل فأرسل لى بالبريد مساء الامس نسخة من تلك الصحيفة الصباحية وكتب عليها بالقلم الرصاص هاتين العبارتين:

١ — أيصدر هذا التقويم الرسمي وانتم في مصر ؟

٢ — ما رأى شيخ العروبة في هذه ؟

وانتي فيما بلى من السطور سأتناول البحث مع تأييده بالاسطورة القبطية

المكذوبة التي غررت بصديقي المفضل مرقس باشا سميكة حتى جعلته يجعل خليفة الاسلام نصرانيا بطريق التعميد ، سواء كان ذلك التنصير عمداً أو « عبادة » من الباشا المفضل ، حرس الله مهجته واعاده الى محجة الصواب

عذراً يا صديقي القديم العزيز ، فالحق فوقى وفوقك . وليس في وسعي السكوت عن تكذيبك وهدايتك الى الحق بارشادك الى الذي أوقعك في الضلال ، ان كنت أنت وقعت فيه اعتباطاً

أنت تعلم ، والناس يعلمون ، أنني في كل يوم اتولى تكذيب النصارى الذين افتروا الكذب على نبي المسلمين بتلفيق كتابات مزورة استخدموها للتغريب بالحكومات الاسلامية حتى جعلوا فريقاً كبيراً من المسلمين يكذبون على أنفسهم وعلى نبيهم ، مخدوعين بهؤلاء الافاكين من النصارى المزورين

وأنت تعلم مثلي ان هؤلاء النصارى الخادعين هم من رجال الدين ، وتعرف كما أعرف أنهم قد ارتكبوا التزوير على نبي المسلمين لمصلحة دنيوية يريدون بها توفير المال لكنائسهم واديارهم ، وعدم دفع المستحق على املاكهم واطيانهم لخزينة الدولة الاسلامية

أما انت ، وأنت من رجال الدنيا ، فقد جريت على اسلوبهم ونسجت على منوالهم لمصلحة تخيلت أنها تعود الى الدين والمسيحية في غناء عنها ، والاسلام لاضرر عليه منها !

من أجل ذلك كان وزرك عندي أكبر ، لاسيما وانت من أهل المعرفة الصحيحة ، وعندك علم الحق . وأنت لا تخفيه ، ولكنه شبه عليك فيه فانك يا أخي ، قد اتخذت بما طرق سمعك قديماً من تلك الاسطورة القبطية الخرافية ، السخيفة ، الحسيسة . ولطول العهد — ولا أقول لسوء القصد — تبدلت الاسماء في اكرتك ، وانعكست عليك الآية . فخلطت زيدياً بعمر ومن حيث تدري أولاً تدري فان كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

ذلك الحق أن تسب لدينك كل ما تريد من المزايا والمحامد . فذلك أمر نقابله

بالاجلال والاحترام . لأنه صادر عن عقيدة صادقة راسخة في الفؤاد . على أن هناك حدوداً ، يجب على من كان مثلك أن يقف عندها وأن لا يتجاوزها
لقد استغفلت أنت الحكومة حتى استدرجتها الى أن تسمح لك بكتابة نبذة
عن الكنائس القبطية لادراجها في التقويم الرسمي الصادر باسم حكومة مصر —
ولا يعني في هذا المقام أن تكون اسلامية أو غير اسلامية ، مستقلة أم احتلالية
ولكن صبغة التقويم رسمية . فهو اذن وثيقة حكومية !
حتى لو صدر عن مدينة الفاتيكان برومية .
حتى لو صدر عن كنيسة الفنار بالقسطنطينية .
حتى لو صدر عن كنيسة القيامة بالقدس .
حتى لو صدر عن البطر كخانة الكبرى بالدرب الواسع بالقاهرة :
فان شيئاً من الحياء ، أو قليلاً من الذوق ، أو حساباً للواقع ، أو خوف الحق
الذي جاء به المسيح ، كل أولئك كان يحول دون دس هذه الخديعة ، ودون
التدليس بمثل هذه الدسيسة
ولسكن هل بلغت الفوضى السياسية بحكومة مصر أن تتركك تتهرب هذه
الفرية الخبيثة ؟

اهلك تدافع عن نفسك ، يا عزيزي مرفس باشا ، بأن الذي خطته يملك في
التقويم باسم قلم نشر مطبوعات الحكومة بالمطبعة الاميرية الرسمية ، (في صفحة ١٧١)
أثناء كلامك على دير أبي سيفين ، انما هو قولك بالحرف :
« ان هناك كنيسة صغيرة بها أحجية من العصر الفاطمي محلاة بنقوش بارزة
تمثل القديسين ، ومعمودية يقال ان الملك المعز لدين الله تعمد فيها سراً » اه بنصه
وفصه . بل بعجره وبجره ، بل بأكذوبته وضلالته .
هكذا تكون الدسيسة ، والا فلا . .

أنت تغث السم وتنشيه بطلاء خلاب كذاب بلفظة « يقال » !
أنت ترسل الدسيسة تسعي مثل الافعي ، وقد غطيتها بثوب الرياء الشفاف ،
أي بكلمة « يقال » !

هذه الاخدوة، ياعزيزي مرقس باشا، هي مفضوحة وفوق المفضوحة .
فانك تخيلت أنها تتيقك سهام الملام ، فيما لو قام أحد لمخاسبتك عليها ، فتكون
في حل من الكذب ، ونشر الكذب ، وترويج الكذب ، في وثيقة رسمية
صادرة باسم الحكومة المصرية ! (وأكرر انه لا يهمننا أن تكون الحكومة اسلامية
أو ارثوذكسية ، استقلالية أم بروتستانتية)

أنت ظننت انك فتحت لنفسك باب الخلاص من هذا المأزق الحرج ، ياشاط .
ولسكنك وقعت ، ياشاطر ! وكانت وقعتك غير موفقة ، ياشاطر !

فلو انك استنجدت بابليس وبكل كذاب في العصر القديم ، وفي العصر الحديث ،
مامكنك ان تتخلص من هذه الورطة ، الا اذا ادليت انالك بحبل النجاة ، يامسكين !
انت تقول في وثيقة رسمية لحكومة مصر : « يقال ان المعز لدين الله تعمد ، سرا
في كنيسة بدير ابي سفين » ! !

اين قيل هذا ، ياصادق النقل وياصحيح العقل ؟
من ذا الذي قال ذلك قبلك ، يا صاحب الامانة ، ويارب الشرف ؟
لا أحد ، لا أحد ، لا أحد !

بل هنالك واحد ، قال ذلك
وذلك الواحد أنا اعرفه كما تعرفه انت !
ذلك الواحد هو :

سعادة مرقس سميكه باشا ، ولا غيره !

والآن ارشدك ، ياعزيزي العلم ، الى الاسطورة التي جعلتك تتركب التحريف
والتصحيف ، ولا أقول التخريف والتجديف

والآن آخذ بيدك لاضعها على مر بط الفرس ، عساك ترجع يهدايتي الى الحق .
وأنا عارف بشجاعتك الادبية التي تحفزك الى المجاهرة بالحق
انت أردت « الحاكم بأمر الله » وانت مخطيء
ويدك كتبت « المعز لدين الله » وهي خاطئة !

افهمت ؟ ام انت تريد البيان !
فاسمع ، وافهم ، ارشدك الله واياي الى الصواب .

اسطورة قبطية كذابة

حدثنا التاريخ عن هديانات الحاكم وعن مناقضاته وعن اضطراباته ، بما هو موضع الانكار الباقي والاستنكار المتواصل وحدثنا التاريخ ان اخته الاميرة « ست الملك » قد ارادت انقاذ الامة من شره وتحلّيص العرش من عبثه وحفظ الملك من عبثه .

من أجل ذلك لجأت الى تدبير المؤامرة والمؤامرة يلزمها المال ، فارسلت الى حاكم جزيرة تنيس (المدفونة الآن في بحيرة المنزلة) بأن يحمل المال اليها المجتمع لديه ويعجل بتوجيهه . وقيل انه كان الفي الف دينار والفي الف درهم (أي مليون ومائتي الف جنيه مصري تقريبا) — وذلك من الاموال المربوطة على الاطيان المتجمدة لديه عن مدة ثلاث سنوات فحمل المال اليها واستعانت به على ما دبرت (راجع خطط المقریزی ج ا ص ١٨١)

فلما فرغت من أمره ، واستراحت الامة من عبثه وشره واستقر الملك في نصابه ، رأى جماعة من الناس انه مظلوم بسبب هذا الاغتيل

وتاريخه معلوم ، واحواله معروفة وكلها عجز وبجر ، قد يتخللها غرور ودرر والعجب العاجب ، بل واعجب العجب في شأن هذا الرجل أنه كما كان مصدر للتناقض في حياته ، فقد صار مصدر التناقض أيضا بعد مماته

ذلك لان الاقباط اختلفوا عليه اسطورة سخيفة وزعموا — وهم كاذبون — انه تعمد وتنصر لاعجوبة رآها

وهذه الاسطورة الكذبة المكذوبة كان الاقباط مها جاهلين وعنهما لاهين الى أن جاء يعقوب باشا ارتين فاكتشفها وكشفها وعمل بحثه عنها باللغة الفرنسية في سنة ١٨٩٤ ميلادية

وقامت بجانب الاسطورة القبطية اسطورة درزية تحارب مسيح النصارى فجعلت « الحاكم بامرہ » إلهامعبودا للدروز

وتعالى الله الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، عما يقول هؤلاء وهؤلاء !
أفهمت يا أخى مصدر التخليط الذي وقع فيه الحضيف الرشيد مرقس باشا
سميكة ؟

اختلفت في ذهنه الاسطورة التي تقولوها على « الحاكم بامر الله » فاراد أن
يتعلى وان يزيد ، وان يرتفع وان ينبسط ، فنسب هذه الخرافة السمجة المرذولة
المستقبحة الى « المعز لدين الله »

والاسطورتان مكنوبتان

وكل قائل بهما كذاب كذاب

وليس لصاحبي أن يلتمس الخلاص بقوله انه نقل « ما يقال » وانه استعمل
صيغة الابهام وهي « ويقال »

بل الواجب عليه أمام ذمته المسيحية — وانا اعلم انها شريفة طاهرة بريئة —
أن يأتينا باحد امرين

أولهما — البرهان المادي على نسبة هذا القول الى أي انسان كان ، أو وجوده
في أي كتاب كان (ولن يستطيع ولن يستطيع ، ولن يستطيع ، ثلاثا)

وثانيهما — ان يرجع الى الحق في غير موارد ولا مداجات ، وان يقول لنا
صراحة انه اختلفت عليه الاسطورة المكذوبة التي اختلفها الاقباط السابقون على
« الحاكم بامر الله » وانه قد خانته الذاكرة فجعلت يده تكتب بالزور والبهتان
اسم « المعز لدين الله »

واجب على سعادة مرقس باشا سميكة أن يبادر الى هذا « الاعتراف » على
ملاء الناس وعلى رؤوس الاشهاد ، محافظة على كرامته العلمية وعلى مكانته الشخصية
وبناء على ذلك ادفع له الآن قسطا معجلا من الشكر ، وفي غد اذكر له خلاصة
عن الخرافة القبطية الكاذبة المكذوبة . وعما فعله الاستاذ وديع حنا الصادق في تاريخه
والله يقول الحق ويهدي الى سواء السبيل

احمد زكي باشا

عن دار العروبة



ونشرت جريدة الاهرام يوم ٨ أغسطس سنة ١٩٣١ ما يأتي:

ر د على صديقي

احمد زكي باشا

اطلعت في صدر جريدة الاهرام الغراء على مقال طويل بعنوانات ضخمة وحروف كبيرة وقد كتب على النمط الذي اختص به صديقي احمد باشا زكي ولا اروم ان ارد على هذا المقال الابعبارات موجزة منزهة عن القذع مبرأة من كل ما يجرح احساسا ويؤلم شعوراً أو يخالف قاعدة من قواعد المناظرة التي تواضع عليها الادباء في كل زمان ومكان . فأقول :

أولاً : ليس صحيحاً ما قاله الباشا وهو أن الرواية التي اعترض عليها لم ترد في كتاب ولم يروها احد قبلي بل الصحيح أنها وردت أولاً في كتاب وصف الكنائس القبطية الاثرية للدكتور الفرد بطلر جزء أول صفحة ١١٧ طبعها كسفورد سنة ١٨٨٤ ونص عبارته « اخبرني القسيس — يقصد قسيس كنيسة أبي سيفين — ان السلطان المعز تعمد بها بعد ان اعتنق المسيحية »

والواقع أن الرواية متواترة من مئات السنين ولو كلف صديقي احمد باشا نفسه وذهب الى هذه الكنيسة الاثرية لدله خدامها الى معمودية السلطان المعز ووردت هذه الرواية عنها في كتاب « الجريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة » لاحد رهبان دير السيدة بليموس في برية ابنا مقاريوس وقد طبع في مطبعة الشمس سنة ١٩٢٤ جزء ٢ صفحة ٢٤٨ وهذا نص عبارته :

« قيل أن المعز بعد حادثة جبل المقطم تخلي عن كرسي الخلافة لابنه العزيز وتنصر ولبس زي الرهبان وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين »

ثانياً — ليس صحيحاً ما قاله الباشا وهو أني خلطت بين الحاكم بأمر الله والمعز لدين الله بل الصحيح أن أعجوبة جبل المقطم التي قيل أنها كانت سبباً في تنصر المعز حدثت في زمن ابرام السرياني الذي رسم بطريركا في سنة ٩٧٥ ميلادية على ماوراء ساويرس اسقف الاشمونين في كتاب « تاريخ البطاركة » وصديقي الباشا يعلم أن التاريخ يوافق عهد خلافة المعز

ثالثاً — ان هذه العبارة رويت في معرض الاشارة الى أثر قديم في الكنيسة وهو المعمودية ولولا ذلك لما كان ثمت محل لذكرها وقد نشرت منذ سنتين في تقويم المطبعة الاميرية وفي كثير من الكتب عشرات السنين عند الآثار القبطية فلم يكن القصد من ذكرها اذن لا تمجيد المسيحية ولا اساءة الاسلام وأحر بالمسيحية والاسلام أن تكون قوتها وفخرها لا يرفعه مقام معتقبيها ولا بكثرة عددهم بل بفاعلية مبادئها في النفوس

رابعاً — لو كان مراد صديقي احمد باشا زكي من هذه الحملة مجرد التقد التاريخي لاغنى نفسه مؤونة تحرير مقاله الطويل الذي حشاه بما نضح به اناء أدبه وفضله ممن لم اكن انتظره من صديق قديم

على انى لا أحسبه بعدما يقرأ ردي هذا الهاديء على مقاله الصامت الا موافقي على ان للنقد التاريخي والبحث العلمي طريقة أخرى غير هذه الطريقة هداه الله ووقفه الى خدمة العلم والتاريخ بما نرضاه له ونتمناه

مرفس سميكه



مقالة أحمد زكي باشا الثانية

الاسطورة القبطية المكذوبة

كلمة لربها مابعدها

الى صديقي مرقص باشا سميقة والى مؤيديه ومعارضيه

— ١ —

قرأت صباح الأمس في جريدة « السياسة » كلمة لصديقي العلامة الاثري والبحاث العارف ، والخير العلم ، صاحب السعادة مرقص باشا سميقة . واذا به لا يزال مصرأ على قوله ، باقياً على أسطوره . فلم يعترف لنا اعتراف العالم الصادق النزيه بكذب الذين اختلقوا سرية التعميد وكذبوا على جرن العمودية ، وتحرصوا بوجود القبر المكذوب في دير الشهيد الجليل أبي السيفين بالفسطاط وهو يعلم ان كل ذلك مخالف للحقيقة المادية المحسوسة التي لا محل فيها للجدال العقلي ، ولا للحوار النظري ، ولا للمباحثات السوفسطائية .

عجبت من اصراره على قوله ، إذ كنت اترقب من شجاعته الادبية ، ومن كرامته العلمية ، أن يرجع عن هذه الاختلافات المثلثة ، ليكفيني مؤونة الرد ، وليستحق كل شكر من العلم ومن الحق

لكنه أراد ، أو حاول ، أن يقفل الباب على تلك الدنيسة الخبيثة الخسيسة فيبقى أثرها عالقا بالنفوس ، أو على الاقل عند فريق كريم من المصريين . وهذا الفريق معذور ، اذا كان يرى مثل العلامة سميقة باشا مصرأ على هذا القول الفتان المفتون

— ٢ —

وقرأت بعد ذلك مقالات ، بعضها أو واحدة منها في الانتصار أو شبه الانتصار لسعادته بجريدة مصر (التي بتوت عباراتي من باب الاختصار طبعا وأكثر هذه المقالات في الرد عليه بجريدة « السياسة » و « الاهرام » و « المساء » وغيرهن ،

وقد اعتمد كتابها الافاضل على البراهين العقلية وعلى المؤرخين المسلمين وهو
مالا يرضيني في هذا المقام .

وقرأت صباح الامس أيضا كلمة طيبة في « الازهرام » بقلم الاستاذ الشيخ محمد
عرفه . وقد تكفل بازاحة الستار عن مسألة التواتر التي يتدارى خلفها سمكة
باشا بغير حق مثل ما تتدراى النعامه باخفاء رأسها في البيداء الظاهرة المكشوفة .
وسعادته سيد من يعرف انه بذلك التواتر الموهوم المزعوم يصادم التاريخ الصادق ؛
صدمة لا يرضاها خصم عاقل ولا صديق جاهل

والآن اتقدم بالرجاء الى جميع الفضلاء والى أرباب الصحف بنوع خاص
أن يتروكوا هذا البحث مؤقتا وأن يمتنعوا عن الجولان فيه الى حين ، وأليس
الصباح يبعيد

وهذا الرجاء ينصرف بنوع خاص الى المعارضين لسمكة باشا في دعواه أو
في اصراره على دعواه أو فيما يحاوله من مداورة ومداراة :

ذلك لان استمرارهم على السير في الطريق التي انساقوا اليها بطبيعة الحال
اتنفيذ ما اسموه « اسطورة المعز » أو « تنصر المعز » يجعلهم يخدمون الغرض
الذي قد لا يقصده « عمداً » حضرة صاحب السعادة مرقس سمكة باشا عند
ايراده هذه الاسطورة السخيفة بلا موجب ولا ضرورة في التقويم الرسمي
للحكومة المصرية

فبنتى في الاذهان انه قيل — ان صدقا أو كذبا — بأن المعز قد تنصر
وهذا كل ما يطلبه أهل التوفيق من ترسيخ هذه الاكذوبه عند العوام في مصر
وفي غير مصر

سبق لي اني طلبت من سعادة مرقص باشا أن يأتيني بدليل (وهو يفهم
معنى الدليل) على تلك الخرافة الكذابة التي لم يتورع سعادته عن وضع اسمه
فوقها ، أو أن يرجع عنها بصراحة لامداجاة فيها ولا موارد

فجاوبني برده الاول (في اهرام ٢٤ ربيع الاول سنة ١٣٥٠ ، ٨ أغسطس سنة ١٩٣١) باسناد هذه الاسطورة المكدوبة الى أقوال مكدوبة مثلها . فينا أنا أرجع الى المصدر الاصيل الاول في سنة ٩٧٥ ميلادية ، اذا به هو يستشهد ١١١١ بكتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة « الذي أصدره أحد الرهبان في سنة ١٩٢٤ ١١١١ بعد ان استشهد ١١١١ بالمؤرخ الانكليزي بطر في كتابه الصادر سنة ١٨٨٤ ١١١١ وقد ترجم أقوله بما لا يوافق الاصل تمام الموافقة ، لا لغرض في نفس يعقوب ، بل من باب التهاون البسيط !
على انه طلب مني أن يذهب الى تلك الكنيسة الاثرية بدير أبي السيفين « ليدلني خدامها الى معمودية السلطان المعز »

حينئذ هناك قبر !

حينئذ هناك برهان مادي على صدق الاسطورة !

حينئذ ينبغي لي الانحاء « بمطانوة » (أي باستغفار في انحاء) نظير ما أبديته من الجحود والانكار أمام هذه الاسطورة التي يؤيدها لي صديقي الباشا المفضل ! من أجل ذلك ذهبت الى الدير مرتين لرؤية هذا النور بعيني ، وللتحقق من هذا الاثر بنفسي . فقد أردت أن اتشبه بالحواري توما الذي أراد أن يكون ايمانه بقيام المسيح عن مشاهدة وعيان (انجيل يوحنا ٢٠ : ٢٦ - ٢٩) وان اقتدى بسنة أحد الانبياء الذي خاطب الرحمن بقوله « رب ارني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » (قرآن كريم ١ : ٢٦٠)

رأيت من واجب الامانة في الانصاف أن أجيّب دعوته ، عساه يتشبه بي في اجابتي الى دعوتي . وسأذكر في مقال تال خلاصة رحلتي الى الدير الصادق والى القبر المكذوب . ثم اظهر له وللناس جميعاً مكان قبر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، مؤيداً بالبرهان الصادق

وفي خلال تلك المدة كنت اتردد على المتحف القبطي ومكتبته ، وعلى البطر كخانة ، وغيرهما من مجامع العلم وخزائن الكتب

وسأقدم عما قريب الى مرقص باشا والى كل ذي عقل ودين بالبيان الشافي مؤيداً بالحجج المستقاة من نفس الاسطورة ، ومن نفس الذين اختلقوها ومن نفس الذين جسموها ونفخوها وزادوها وضخموها حتى أوصلوها بطريق المغالاة في الكذب الى درجة من الشناعة لا يرضاه انسان في محه ذرة من العقل . اذ جعلوا من الجنة غير الموجودة قبة من فقايع الصابون .

راجعت كل الوثائق واستوعبت جميع الدلائل من المصادر الاصلية الاولية دون أن اعتمد على كاتب مسلم . بل كل حجتي مأخوذة من الاقباط المسيحيين ومن السريان المسيحيين

وانما اضفت السريان الى بحتي ، لأن البطرك الذي زبوا الى عصره ناك الاسطورة المكذوبة ، كان من السريان لا من المصريين . وقد راجعت كل ما كتبه علماء الافرنج من انكليز وفرنساويين والمان وغيرهم ، فلم انرك باباً في مصلحة الاسطورة أو ناقضها الاطرافه ، كما تقضي بذلك شريعة الانصاف . لأنني ابني تصفية الحق من كل شائبة من شوائب الارتباب

هكذا استوفيت بحتي بعد تمام الاطلاع على كل ما يتعلق بهذه الاسطورة الكاذبة المكذوبة . فإيتها تهدم نفسها بنفسها ، وبناقش بعضها البعض الآخر في الرواية الواحدة ، فضلاً عن مخالفة هذه الرواية لرواية الثانية وناقضتها معها للثالثة ، وهكذا الى ما تضمنته الاسطورة في لحتها وفي سدادها من الكذب الصراح على التاريخ الزماني وعلى التاريخ الانساني والعمراني ، مما لا يرتكبه تلميذ متيقظ في مدرسة ثانوية

رأيت هذه الاسطورة وما يتعلق بها (تأييداً وتقنبداً) في الوثائق الآتي بيانها :

١ — تاريخ البطارقة ، بنصه العربي للاستف ساويرس بن المقفع (مخطوط) محفوظ بالدار البطركية في جملة قطع مختلفة ، بعضها جيد جداً . والاسطورة مدسوسة فيه على هذا الرجل الفاضل كما سنبينه بالبرهان المادي في بحث آخر . وهذا التاريخ يتسلسل الى ما بعد وفاة مؤلفه ، لأنه يصل الى الدولة الايوبية . والتكلمة بالطبع بقلم انسان آخر بل كتاب كثيرين

٢ — نسخة أخرى بعضها قديم وجيد جداً جداً . وقد رمها سعادة مرقص باشا سميقة في سنة ١٨٩٨ وأكلها من النسخة السابقة والتاريخ يتسلسل فيها الى غبطة البطريرك يؤانس الحالى بابا الكرازة المرقسية

٣ — تاريخ البطارقة المذكور مترجماً الى اللسان اللاتيني ومطبوعاً في باريس

سنة ١٧١٣ م وينتهي الى سنة ١٧٠٣ م

٤ — الاسطورة المذكورة منقولة عن ذلك التاريخ الى اللغة الفرنسية بقلم

ارتين باشا « في مجلة مصر » سنة ١٨٩٤ وهى مأخوذة عن نسخة من ذلك التاريخ بمخطوطة في خزنة المرحوم بطرس باشا غالى

٥ — نص تلك الاسطورة عن النسخ المحفوظة بمكتبة باريس الاهلية وقد

نشرها مجلة الشرق المسيحي (بالعربي والفرنساوي) سنة ١٩٠٩ و سنة ١٩١٠ بعناية المستشرق لوروا

٦ — تلخص هـ ١٠ الاسطورة تلخيصاً وافياً في السنكسار القبطي الذي طبعه

المرحوم ربنيه باسسيه المستشرق الفرنسي والفرنساوي في باريس من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩٢٩

٧ — ملخصها الوافي بتاريخ « الكنائس والديارات في القطر المصري

وما جاوده » لآبى صالح الارمنى النصراني نشره العلامة الفت الانكليزي في ا كسفورد سنة ١٨٩٥

٨ — تلخيصها بالابحاز الشديد في « مختصر البيان في تحقيق الايمان » للعلامة

الناربخى الشيخ المسكين أبى المكلام جرجس بن العميد (مطبوع رأيته بالمتحف القبطي)

٩ — تلخيصها بالاختصار الكلي في كتاب أصول الدين المسيحي « للعلامة

المنضال اسحاق بن العسال (نسخة مخطوطة ، بالمتحف القبطي والدار البطريركية)

١٠ — تلخيصها في كتاب « بلوغ المرام في ترجمة سمعان الخراز والانبا ابرام

للاسقف ايسوذورس ، من أبناء عصرنا طبع القاهرة سنة ١٩٢٢

وقد راجعت ما كتبه جهاينة المؤرخين المسيحيين الذين بحثوا في تاريخ

الامة القبطية قصداً أو عرضاً ، مثل يحيى بن سعيد الانطاكي ، والسيدة بوتشر

الانكليزية ، وجرجي زيدان اللبناني ، ثم ميخائيل شاروويم بك ، والشماس منسي القمص ، ويوسف منقريوس ورزق الله منقريوس (وهؤلاء كلهم من أقباط مصر)

وعما قليل سأكتب ما فيه شفاء للناس ، ورضوان للمسيحيين والمسلمين ،
باحقاق الحق ، دون ان أنسى طلب الهداية لصديقي مرقص سميقة باشا ، الذي
سنضطره الامانة الارثوذكسية (رغما عنه ويوازع من قلبه وبالهام من ربه) الى
الرجوع الى الحق . ومن فك أدينك يا اسرائيل . ومن كلام أمتك الاقباط
اهديك الى الصواب يا ابن بو حنا جرجس سميقة . فانتى مازلت أحسن الظن
بك . وأرجو لك التوفيق في تصحيح ما فرط من قلبك . وجل من لا يسهو .
وكل آت قريب

عن دار العروبة

احمد زكى باشا



ونشرت جريدة السياسة في يوم ١٠ أغسطس فصلا افتتاحياً قالت فيه

الاهرام مؤسس الازهر بانتصر

فرية الجهل والتعصب على التاريخ الاسلامي

في تقويم الحكومة الرسمي

وقف القراء على حديث تلك الاسطورة التي وردت في تقويم الحكومة هذا العام عن الخليفة المعز لدين الله ومؤسس الدولة الفاطمية بمصر ، ومنشىء القاهرة ، والجامع الازهر ، ومفادها أن المعز لدين الله قد تعمد في احدى الكنائس القبطية أو بعبارة أخرى قد اعتنق النصرانية . وهي اسطورة أوردها مرقص باشا سميقة في الفصل الذي كتبه في هذا التقويم عن الكنائس والاديار ، في كلامه عن كنائس دير أبي سيفين حيث يقول : « ان هناك كنيسة صغيرة بها احجبة من العصر الفاطمي محلاة بنقوش بارزة تمثل القديسين ، ومعمودية يقال ان الملك المعز لدين الله تعمد فيها سراً » كذلك وقف القراء على ما نشره مرقص باشا سميقة في « الاهرام » دفاعاً عن هذه الاسطورة ورداً على ما نقدها به احمد زكي باشا . وكنا نود ونحن في شغل شاغل بما نخوضه من مسائل عامة أصبحت تطغي على كل ما عداها ، أن نترك مثل هذا الجدل لمن هم أكثر منا فراغاً ومن توجب عليهم مرا كزهم وصفاتهم أن يتقدموا للدفاع عن الاسلام وتاريخه كلما رماه المتعصبون أو الجهلاء بمثل هذه الفرية . ولكن « السياسة » لم تستطع ، وقد كان لها شرف هذه المواقف غير مرة ، أن تقف جامدة ازاء هذه الفرية الخطيرة التي يملها سوء النية قبل أن يملها سوء الجهل والتعصب ، والتي يراد بها أن تلوث الى الابد ذكرى امام من أعظم أئمة الاسلام ، وخليفة من اعظم خلفائه تحت ستار التاريخ والرواية ، ولو ان فرقص باشا سميقة كان ينطق عن علم صحيح ، وكان يستند الى أدلة ووثائق جدية لما كان لنا أن نعترض عليه ، لان الأمر عندئذ لا يتعدى البحث التاريخي والجدل العلمي ، والبحث حر ، ونحن أول من يقدر حريته ، ولكنه وهو يقدم أسطوره دون سند الا أقوال بعض القسس الجهلاء ، ويصر عليها بما ينم عن الحقد والتعصب الدفين ،

ويدساها في تقويم رسمي تصدره الحكومة المصرية الاسلامية على نفقتها ، فان للامر وجهة أخرى هي التي نريد أن نشير اليها اليوم في هذه الكلمة

لم نسمع ولم نعرف أن مرقص سميكة باشا كان يوما من أولي العلم والبحث المتين ولم نسمع بالاخص أن له من علمه ما يسمح له أن يؤرخ للمسلمين وأن يخوض في مباحث التاريخ الاسلامي . وكل ما عرف عنه أنه من المهتمين بالآثار الكنسية القبطية . وهو وشأنه في هذا الميدان . ولتكن أساطير الكنائس والاديار القبطية ماشاءت الاسطورة . ولبعثت القسس الاقباط في الاسلام وتاريخه ماشاءوا ، فاللتاريخ قائم يزدرى كل الاساطير ويسخر منها ، ولكن مني نهدم الى الميدان رجل مثل سميكة باشا ، يزعم أنه بتكلم بلسان التاريخ والبحث العلمي ، فانه يحق للمسلمين أن يحاسبوه على ما يلصقه بالاسلام وأبطاله من زاعم ، وان بطالبوه باقامة الحجج العلمية القاطعة حرصا على التاريخ القومي أن يشوهه جهلا ، متعصبون كأمثال الباشا محتوموز . ثيابهم المدنية ، وهم في الواقع يحملون قلوب المبشرين والقسس ، بل هم أشد حقدآ على الاسلام وتاريخه وحضارته ولغته . وليعذرنا مرقص سميكة باشا أن نعتبه بالمتعصب والجهل . فانه هو الذي قدم هذه الشهادة على نفسه أولا بما أبداه من قصور شنيع في التدليل على صحة الاسطورة التي دسها في تقويم الحكومة ، اذا كتني بالاعتماد في نقلها على ما نقله الاستاذ بتلر في كتاب « كنائس مصر القبطية القديمة » عن خادم احدى كنائس دير أبي سيفين وقد نقل أقواله على سبيل الاسطورة والقصة ، ولكن الباشا يعود فينقلها على سبيل التدليل والاستشهاد ، أو بعبارة أخرى يريد الباشا أن يستند في زعمه على قول خادم الكنيسة ثم لا ينجل من أن يقول بعد ذلك : « ان الرواية متواترة من مئات السنين ولو كلف صديقي احمد زكي باشا نفسه وذهب الى هذه الكنيسة الاثرية لدله خدامها الى معمودية السلطان المعز » (١) ولم يعتمد فوق ذلك الا على عبارة أخرى في نفس المعنى لقس آخر في كتاب له عن الكنائس ، فكان الباشا يريد أن يتلقى المسلمون تاريخهم من خدم الكنائس القبطية ، هذا وثانيا فان سميكة باشا يصر رغم هذا

الهديان الذي يديه في التدليل والاستشهاد ، على روايته ، مما ينضح بعد جهله عن تعصبه العميق .

ولن تقف في دحض اسطورة الجهلاء المتعصبين عند هذا الحد ، بل سنعود غداً أو بعده الى اثبات سخطها واختلافها بالأدلة والوثائق التاريخية . مكتفين اليوم بإيراد هذه الكلمة التي وصف بها الاستاذ بتلر في مقدمته أولئك الذين يروجون هذه الاساطير أمثال سميكة باشا واضرابه وهي : « والواقع أن قليلاً جداً من الاقباط يعرفون شيئاً عن تاريخهم أو رسوم دينهم ، أو يستطيعون تحليل الامور التي يشاهدونها في طقوسهم اليومية ، فاذا سئلوا عن نقطة تتعلق بالطقوس أجابوا عادة بهز الرأس أو بجواب ظاهر الخطأ ينم عن الجهل (١) » غير اننا نحب أن نسائل في نفس الوقت شيخ الازهر وأساتذته عن رأيهم في هذا التجنى على ذكرى مؤسس الازهر ، وهل يليق بهم أن يلتزموا الصمت حيال هذه القرية التي يراد بها أن يكون مؤسس الازهر نصرانياً تعمد ودفن في كنيسة قبطية ، ثم ألا يرون أن العناية بدحض هذه القرية وأمثالها مما يدس الى تاريخ الاسلام ، اجدى في الدفاع عن الاسلام وتاريخه وحضارته من كثير من مواقفهم المعروفة ؟ ونحب من جهة أخرى أن نسائل حكومة مصر الاسلامية كيف يجوز لها أن تطبع على نفقة الدولة تقويماً يحتوي على مثل هذه القرية فتجعل مما يروجه خدمة الكنائس القبطية . رواية منداولة ؟ وهل لو كان ثمة اسطورة كذبية بأن غير المعز من خلفاء الاسلام كأبي بكر أو عمر أو علي قد تنصر ، بل لو نسبت هذه القرية الى بني المسلمين (صلعم) ذاته اكان يسمح لامثال سميكة باشا بأن يكتبوها في تقويم الحكومة ، وكانت مع ذلك تفلت من رقابة المكلفين بالاشرف على اصداره ان كان ثمة من يشرف على هذا الاصدار ؟ ومن العبث ان يعتذر بأن هذا التقويم قد سبق ان طبع مرة أو اكثر محتوي لهذه القرية فان خطأ الذين بوكل اليهم الاشراف على اصداره في اجمال مراجعته يجب الا يتكرر . ولا احتجاج بسوابق الاهمال والخطأ . انا نقدر حرية الرأي والبحث العلمي ولكن خدمة الكنائس والادلاء ليسوا علماء ، وليست أساطيرهم مما يصح أن يكون

(١) كتاب كنائس مصر القبطية القديمة لا لفرد بتلر (المقدمة ص ٩)

مستقي للتاريخ ، والتاريخ الاسلامي بصفة خاصة ، وليس مما يسبغ عليها قيمة الرواية أن ينقلها بعض الجهلاء المتعصبين من غير رجال الدين ، ولو أن سميكة باشا كتب ما كتب في كتاب خاص لم يطبعه الطابع الرسمي ، ولو لم تكن الحكومة هي التي نشرت له هذه القرية في تقويمها ، لما عُنينا به أكثر من عنايتنا بمبشر حمود متعصب ، ولهذا رأينا من واجبنا أن نلفت نظر الحكومة الى خطورة هذا التهجم على التاريخ الاسلامي ، وان ندعو شيخ الازهر ورجاله ، الى الدفاع عن ذكرى مؤسس الازهر من أن تلحقها هذه الوصمة الخالدة ، معولين مع ذلك على أن نعود الى دحض هذه الاسطورة وتبيان ما يطبعها من دجل وتعصب وجهل سحيق .

ونشرت جريدة السياسة يوم ١١ أغسطس سنة ١٩٣١ مقالة بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان هذا نصها

اسطورة تنصر المعز لدين الله جناية على التاريخ والحقيقة

وجه مرقص باشا سميقة في النصل الذي كتبه عن الاسكائس والاديار القبطية في تقويم الحكومة لهذا العام، همة خطيرة الى خلبنة من أعظم خلفاء الاسلام، هو المعز لدين الله الفاطمي مؤسس الدولة الفاطمية في مصر، ومنشى القاهرة عروس الامصار الاسلامية، والجامع الازهر معقل التفكير الاسلامي ومناراته في العصور الوسطى. فذكر في كلامه عن الآثار القبطية في كنائس دير أبي سيفين ما يأتي: « ان هناك كنيسة صغيرة بها أحجية من العصر الفاطمي محلاة بنقوش بارزة تمثل الفدابين ومعمودية يقال ان المعز لدين الله تعمدها سرأ » (تقويم الحكومة ص ١٧١) وقد اعتمد سميقة باشا في اثبات هذه الرواية على نصين أوردهما في مقال له نشر في الاهرام في ٨ أغسطس الجاري رداً على ما كتبه زكي باشا في اهرام ٨ أغسطس في هذا الموضوع وهما:

الاول — عبارة وردت في كتاب الاسماذ الفردبنر عن كنائس مصر القبطية القديمة (THE ANCIENT-COPTIC CHURCHES OF EGYPT) هذه ترجمتها: « وفي هذه المعمودية طبقاً لاسطورة القسيس (أعني قسيس الكنيسة) عمد السلطان المعز حينما ارتد الى النصرانية » (ج ١ ص ١١٧)

والثاني — عبارة وردت في كتاب قسيس قبطي عن تاريخ الكنيسة اسمه « الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة » هذا نصها: « قبل ان المعز بعد حادثة جبل المقطم تخلى عن كرسي الخلافة لابنه العزيز وتنصر ولبس زي الرهبان وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين » .

ويضيف سميقة باشا الى ذلك ، ان هذه الرواية متواترة منذ مئات السنين ، وفي وسع المعارضين أن يذهبوا الى تلك الكنيسة الاثرية فيدلّم خدامها على هذه المعمودية التي تسمى بمعمودية السلطان المعز .

هذه هي النصوص التي يعتمد عليها سميكة باشا في تأييد الاسطورة الفبيلية القائلة بتنصير المعز لدين الله وهي نصوص لا تستحق أن توسم بالادلة والمراجع ، وليست لها أية قيمة في الاثبات غير اننا مع ذلك تناولها بشئ من الرد لاعلى انها أدلة مؤيدة يجب نقضها ، بل على أنها بذاتها قرائن على سخر الرواية وبلعها من الركاكة والسقم .

فأما النص الاول وهو عبارة الاستاذ بتلر ، فقد أوردها نقلا عما سمعه من قسيس كنيسة القديس جبريل احدى كنائس دير أبي سيفين ، ولم يوردها من عنده واحتاط في ذكرها فوصفها بأنها اسطورة أو قصة خارقة (LEGEND) ولكن سميكة باشا اقتصر على نقلها محرفة للاستشهاد ، مع ان الاستاذ بتلر يعود فيورد « الاسطورة » كلها في مكان آخر طبقا لما سمعها من قسيس الكنيسة أثناء زيارته لها وهذه هي : « سمع الخليفة المعز ، مؤسس القاهرة ، كثيراً عن حياة النصارى الروحية ، وعن اخلاصهم لنبيهم ، وعن الامور العجيبة التي يحتويها كتابهم المقدس فأرسل الى كبير النصارى والى كبير شيوخ قومه ، وأمر باجراء تلاوة ليلة أولاد لانجيل المسيح ثم للقرآن ، وبعد ان سمع كلا منهما بعناية شديدة قال بمنتهى العزم « محمد مفيش » اي ان محمداً لا شئ . أولاً وجوده ، وأمر بهدم المسجد الواقع بقايا هذا المسجد موجودة بين الكنيستين . وزاد القسيس على ذلك ، ان الخليفة المعز نصر ، وعمد بعد ذلك في مكان التعميد الواقع بجوار كنيسة القديس يوحنا (مارجورج) (ج ١ ص ١٢٦)

والاستاذ بتلر ينقل هذه القصة كاسطورة (LEG ND) لها علاقة بتاريخ بنيان هذه الكنيسة لاعلى انها واقعة تاريخية لها أية قيمة . وهي تنطق بذاتها بسخر ما ورد فيها واستحالته ، ومن السخرية أن تقدم في معرض البحث التاريخي والاثبات العلمي ، ولعل سميكة باشا نفسه شعر بسخرها فأثر ألا يوردها واكتفى باقتضاب النص الذي نقله .

وأما النص الثاني الذي ورد في كتاب الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة (فلا يخرج أيضاً عن كونه خرافة كنيسية مما يتناقله القسس . وليست قيمته في

الاثبات أكثر من النص الاول . غير انه يقدم الاسطورة بشكل آخر ويقربها بوقائع معينة ، فيقول ان المعز « بعد حادثة المقطم » نزل عن الخلافة لابنه العزيز « وتصر ولبس زى الرهبان ، « وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين » وبصح أن نشير الى حادثة المقطم هذه فقد أوردها بتلر أيضا في بدء كلامه عن تاريخ كنيسة أبي سيفين ووصفها كذلك بأنها اسطورة خارقة (LEGEND) وخلصتها « ان الخليفة سمع بانه قد ورد في انجيل النصارى ان الانسان اذا كان مؤمنا فإنه يستطيع أن ينقل الجبل بكلمة فأرسل الى افرام (ابرام) البطريق وسأله عما اذا كانت هذه القصة العجيبة حقيقة فأجابه بالايجاب فعندئذ قال له « قم بهذا الامر أمام عيني والاسحقت اسم النصرانية ذاته » فدعر الرهبان وعكفوا على الصلاة في كنيسة المعلقة ، وفي اليوم الثالث رأى البطريق العذراء في الحلم تشجعه ، فقصد في موكب كبير من النصارى وهم يحملون الاناجيل والصلبان الى المكان المعين حيث كان الخليفة وحاشيته ، وبعد ان صلى البطريق دفعت الاناجيل والصلبان على دخان البخور ، ودعوا جميعاً فاهتز الجبل وانتقل ! وعندئذ وعد المعز « ابرام » بأن يمنحه كل ما طلب وأذن له في بناء كنيسة أبي سيفين (ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٧)

ويستنتج الاستاذ بتلر من مقارنة هذه الاساطير بأن الكنيسة « قد بنيت أيام المعز حوالي سنة ٩٨٠ » وهو استنتاج يؤيده سميكة باشا بما نقله في مقاله من أن ابرام السرياني المشار اليه رسم بطريقا في سنة ٩٧٥ ميلادية على مارواه ساويرس اسقف الاسمونين في كتاب « تاريخ البطاركة » . ولا يراد هذا التاريخ أهمية سنعود اليها

اذا يكون الزعم بتنصير المعز لدين الله قائما على اساطير كنيسية فقط لاسندها من التاريخ وفي ذلك وحده ما يكفينا مؤونة دحضها لأنها منارة من تلقا نفسها . ولكن سنرى أيضا أنها تناقض الحقائق التاريخية الثابتة .

دخلت الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر الصقلي مصر في ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ (٧ يولييه سنة ٩٦٩ م) . ووضعت خطط القاهرة في نفس الليلة بأمر الخليفة المعز كما اختط الجامع الازهر بعد ذلك بأشهر (جمادى الاولى سنة ٣٥٩) ولكن

المعز لم يقدم الى مصر الا بعد ذلك بأربعة أعوام ، بعد ان أنشئت المدينة الجديدة واعدت لنزوله واستتب النظام وتوطد الملك الجديد ، فدخل مصر بأهله وأمواله في ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ (منتصف يونية سنة ٩٧٣ م) ، ولم يطل ملكه بها أكثر من عامين ونصف عام اذ توفى في ١٤ ربيع الثاني سنة ٣٦٥ (٢٠ ديسمبر سنة ٩٧٥ م)

ولم يكن فتح مصر غما سياسيا لبني عبيد (الفاطميين) فقط بل كان غما للدعوة الشيعية التي لبث بنو العباس يطاردونها زهاء قرنين ، والتي رفع لواءها عبيد الله المهدي جد المعز الاكبر وبدأت ظفرها السياسي بافتتاح المغرب . فكانت مسألة الامامة ما تزال سند الفاطميين ، وكان ملكهم الجديد بمصر يصطبغ بنفس الصبغة الدينية العميقة التي حملت لواءهم الى المغرب ، وكانت فورة القرامطة التي امتدت يومئذ نحو الشام تهدد دعوتهم وملكهم في مصر . فكان عليهم أن يؤيدوا هذه الدعوة وأن يثبتوا قدسيتها ونقاها فيثبتوا بذلك في وجه المنكرين لنسبتهم وشرعية دعوتهم ، أنهم كما يدعون ، سلالة فاطمة ابنة الرسول ، (صلعم) وولد علي . ولهذا نرى المعز لدين الله حين مقدمه الاسكندرية يقول لوفد المصريين الذي ذهب للقائه « انه لم يسر لازدياد في ملك ولا رجال ولا سار الارغبة في الجهاد ونصرة للمسلمين » (١) ونراه في مواكبه وشعائره الدينية حريصا على مظاهر الامامة ، يبدو اماما دينيا أكثر منه ملكا سياسيا . واليك بعض هذه المظاهر شاهدها وسجلها الفقيه الحسن بن ابراهيم بن زولاق المصري ، صديق المعز ، ومؤرخ سيرته :

(١) قال ، لما وصل المعز الى قصره خر ساجدا ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل (٢)

(٢) في يوم عرفه نصب المعز الشمسية التي عملها للكعبة على ايوان قصره وسعتها اثنا عشر شبرا في اثني عشر شبرا وأرضها دياج أحمر .. وفيها البياقوت الاحمر والاصفر والازرق وفي دورها كتابة آيات الحج بزمرد أخضر (٢)

(١) اتعاظ الحنفاء للمقرئ ص ٨٨

(٢) المقرئ عن ابن زولاق — في اتعاظ الحنفاء ص ٩٠

(٣) ركب المعز يوم الفدر لصلاة العيد الى مصلى القاهرة « وخطب وأبلغ وأبكى الناس ، وكانت خطبته مخضوع وخشوع .. » (١)

(٤) « غدا المعز للصلاة في عيد النحر بعسا كره وصلي كما ذكر في صلاة الفطر من القراءة والتكبير وطول الركوع والسجود » (٢)

بل كانت الامامة النبوية صفة رسمية للمعز لدين الله ، دعي له بها في أول جمعة رسمية اقيمت سنة ٣٥٨ هـ وفي الجامع العتيق (جامع عمرو) وجاء في خطبتها : « اللهم صل على عبدك ووليك ثمرة النبوة وسليل العزة المهدي عبد الله (الامام) معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين كما صلبت على آباءه الطاهرين واسلافه الآمة الراشدين . . » (٣)

ويبلغ من قوة هذه المظاهر ان كان المعز يوسم كالانبياء بقولهم « غلبه السلام » « و صلوات الله عليه » (٤)

و كان نقش خاتم المعز « لتوحيد الآله الصمد دعا الامام معد لتوحيد الآله العظيم دعا الامام ابو تميم »

أوردنا هذه الوقائع لتبين كيف كان المعز لدين الله حريصاً كل الحرص على صفته الدينية ، وعلى مظاهر الامامة ، وكيف كانت الصيغة الدينية العميقة تطبع سياسة الدولة الفاطمية في مفتتح عهدها بمصر ، خصوصاً وان هذه الصيغة ، لم تكن بمنجاة من المطاعن ! وكان هذا الطعن يتناول صحة نسب العبيدين الى آل البيت وشريعة امامتهم وتعاليمهم . وقد أخذ قبل بعيد صبغة سياسية رسمية . ففي سنة ٤٠٢ هـ أصدر بلاط بغداد في عهد الخليفة القادر بالله محضراً رسمياً موقفاً عليه من كبار الفقهاء ، والقضاة وبعض الشيعة يتضمن الطعن في نسب الفاطميين خلفاء مصر ، وانهم ليسوا

(١) المقرئزي عن ابن زولاق — في الخطط — (ج ١ ص ٣٨٥)

(٢) المقرئزي — اتعاظ الخلفاء ص ٩٢

(٣) المقرئزي — اتعاظ الخلفاء ص ٩٤

(٤) المقرئزي عن ابن زولاق — الخطط ج ١ ص ٤٧ — وابن زولاق

نفسه في كتاب أخبار سيويه المصري (مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥٤ تاريخ)

من آل البيت بل هم ديصانية ينتسبون الى ميمون بن ديسان ، بل انهم كفارزنادقة
وفساق ملاحدة أباحوا الفروج وأحلوا الخمر وسبوا الانبياء ، وادعوا الربوبية (١)
وفي سنة ٤٤٤ هـ ، كتب بغداد محضر آخر . تضمن نفس المطاعن ، ويزيد فيه ان
الفاطميين يرجعون الى أصل يهودي أو مجوسى (٢)

ومسألة الطعن في نسب الفاطميين هذه والطعن في شرعية امامتهم وتعاليمهم مشهورة
في التاريخ الاسلامي (٣) وهي ليست موضوعنا ، ولكن لم يقل أحد من خصومهم
قط ان المعز لدين الله تعمد او تنصر ، ولو صحت هذه الاسطورة ، بل لو جرت
فقط مجرى الاشاعة أو التهمة ، لما غفل عنها العباسيون فقط ، ولأثبتوها في مطاعنهم
الرسمية ، وروجها مؤرخوهم ، ولذكرها أكثر من مؤرخ مسلم ، ولكن اجماع
الرواية الاسلاميه على تجاهلها

ننتقل بعد ذلك الى منطق الوقائع المادية :

ان الاسطورة القبطية لا تحدثنا متي تعمد المعز وتنصر . ولكن قس كتاب
الخريده بروي انه أي المعز بعد حادثة جبل المقطم ، تخلي عن الخلافة لابنه العزيز
وتنصر ولبس زي الرهبان «

قد رأينا أن حادثة المقطم هذه ، قد وقعت على قول الاسطورة القبطية ، وكما
يقرر الاسقف ساويرس في كتاب « تاريخ البطاركة » على يد البطريق ابرام
(افرام) الذي رسم بطريقا في سنة ٩٢٥ م (٤) ، وانه ترتب على وقوعها ان أذن

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٤٢ — و ابو الفدا ج ٢ ص ١٤٣

(٢) ابن الانبرج ج ٨ ص ٥٠٢

(٣) تراجع ذلك بالاخص ابن الاثير ج ٨ ص ٩ وخطط المقرئ ج ١

ص ٣٤٨

(٤) تراجع كتاب الاستاذ بتلر ج ١ ص ١٢٥ ومقال سميكة باشا المنشور في

اهرام ٨ اغسطس الجاري .

المعز للطريق ببناء كنيسة أبي سيفين ، فبنيت « حوالي سنة ٩٨٠ في عهد المعز » (١) ومعني ذلك ان معجزة الجبل لا بد ان تكون قد وقعت قبل ذلك بقليل أعنى نحو سنة ٩٧٩ أو سنة ٩٧٨ على الاكثر . فاذا علمنا نحن أن المعز لدين الله توفي في ديسمبر سنة ٩٧٥ (ربيع الثاني سنة ٣٦٥ هـ) ، نحققنا بطريقة مادية حاسمة كذب الاسطورة الكنسية لان المعز توفي قبل حدوث المعجزة المزعومة بثلاثة أعوام أو أربعة على الاقل .

والحقيقة التاريخية هي أن المعز لدين الله أذن للطريق ابرام بتعمير كنيسة القديسة مرقية بوس والمعلقة بالفسطاط . لا ايماناً بأية معجزة قبطية ، وان كان جرياً على سياسة التسامح التي اتخذها ازاء رعاياه غير المسلمين . فقد كان يحسن معاملة النصراني واليهود ، وكثيراً ما كان ساويرس (سيفروس) اسقف الاشمونين ، يجادل الفقهاء المسلمين في مسائل الدين (٣) وقد اتخذ المعز وزيراً يهودياً هو يعقوب ابن كلس وأولاه نفوذاً عظيماً . وقد كان التسامح الديني سياسة مقررة للاسلام . في معظم الدول الاسلامية . وقد كان تسامح المعز ، تسامح القادر المستنير . ولكن الاساطير الكنسية شاءت أن تجعل منه محاباة مفصودة . وزبغا من الخليفة القادر الى تعاليم النصرانية . فاذا لقيت الكنيسة خليفة عسوقاً متعصباً كالحاكم بأسر الله يذها يسحق عزتها . خرست أساطيرها واكتفت بأن ترميه بالوحشية والتعصب .

تقول الاسطورة الكنسية أن المعز بعد ان نزل عن الخلافة لابنه العزيز تنصر وترهب ودفن بكنيسة أبي سيفين . فمتي وقع ذلك ؟ ان المعز لم ينزل عن الخلافة أثناء حياته قط ، بل توفي وهو خليفة ، وكان ابنه العزيز ولي عهده حتى وفاته وكانت وفاته في ١٤ ربيع الثاني سنة ٣٦٥ (ديسمبر سنة ٩٧٥ م) ، بالقصر الفاطمي بالقاهرة المعزية بعد مرض طال عدة أسابيع ، فبويع ولده بالخلافة في نفس

(١) الاستاذ بتلر ج ١ ص ١٢٧

اليوم (١) ودفن المعز لدين الله في نفس القصر الفاطمي بتربة الزعفران أو التربة المعزية التي كانت قطعة من القصر الكبير والتي اودعها المعز يوم قدومه الى مصر توايبت أجداده (٢) أما زعم الاسطورة الدينية أن المعز قد دفن بدير أبي سيفين فإنه ينقضها من أساسها ، اذ من ذا الذي تولى دفنه فيها ؟ أيكون الذي دفنه بالكنيسة ولده العزيز خليفة المسلمين من بعده ؟ أم دفنه الفبط فيها بالقوة القاهرة ؟ . وان كان المعز قد تنصر سراً فكيف يعقل أن يترهب جهراً وان يلتجئ الى كنيسة قبطية على مقربة من عاصمته ، وعلى مرأى ومسمع من أسرته وقادته وجنده بل على مرأى ومسمع من العالم الاسلامي الذي بدعى امامته ؟ الحق ان الاسطورة القبطية تنحط هنا الى حضيض من السخف والتناقض يخلق بالرثاء بعد السخرية والاحقار .

وبعد فقد رأينا أن المعز قدم الى مصر من افرقية في سنة ٣٦٢ (يونيه سنة ٩٧٣) وان خلافته لم تطل أكثر من عامين ونصف عام اذ توفي في ربيع الثاني سنة ٣٦٥ . وكانت فورة القرامطة تهدد ملكه الجديد في مصر ودمشق . وكان القرامطة قد زحفوا على مصر بالفعل في أوائل سنة ٣٦١ بقيادة زعيمهم الحسن الاعصم ونسبت بينهم وبين جيوش المعز بقيادة جوهر الصقلي معارك هائلة على مقربة من الخندق انتهت بهزيمتهم وارتدادهم نحو الشام . ولكنهم اجتمعوا ثانية وقصدوا دمشق وفيها ابن فلاح من قبل المعز ، فافتتحوها واستولوا عليها ، ثم زحفوا ثانية على مصر بقيادة الحسن الاعصم أيضا ، فلقيتهم جيوش المعز على مقربة من بليس ، وهزمتهم وأمعت فيهم قتلا . وذلك في أواخر سنة ٣٦٣ هـ . وكتب المعز الى زعيم القرامطة كتابا طويلا يدعو فيه الى الطاعة والهداية ، ويشرح فيه

(١) هذه هي رواية المقرئ الخياط ٢ ص ٢٨٤ ورواية ابن تغري بردى (النجوم الزاهرة في حوادث سنة ٣٦٥) . — ولكن ثمة رواية أخرى تقول ان العزيز كتم موت أبيه حتي عيد النحر (ابن خلدون . ص ٥١ وابن الاثير ص ٢٢٠ وابو الفدا ص ١١٦) غير أن المستشرق فستنفلد يستبعد هذه الرواية (٢) خطط المقرئ ح ١ ص ٤٠٧

الدعوة الفاطمية وأصولها ، وهي وثيقة هامة تدل عباراتها وروحها على مبلغ حرص المعز على التمسك برسوم الامامة ، وأصول الدين . وهذا مستهلبها .

« من عبد الله ووليه وخيرته وصفية معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين وسلالة خير النبيين ونجل على افضل الوصيين الى الحسن ابن احمد ... بسم الله الرحمن الرحيم رسوم النطقا ومذاهب الأئمة والانبياء ومسالك الرسل والاوصيا السالف والآنف . منا صلوات الله علينا وعلى آباءنا ... الخ » والرسالة تفيض بآيات التوحيد ومبادئه والتمسك بالقرآن واحكامه ، وتمجيد النبي (صلم) وسنته (١) وهي بدناها وثيقة قاطعة ببراءة المعز مما تريد ان تصمه به الاسطورة الكنسية .

وكان المعز في تلك الآونة ينتابه المرض من آن لآخر ، وهو المرض الذي حمله الى القبر بعد ذلك . ولكنه مع ذلك كان دائم الاهبة لمحاربة القرامطة . وكان يرقب حوادث الشام ويتوق الى استرداد دمشق . وكانت الجيوش البيزنطية قد عاثت أيضاً في شمال الشام ، فأرسل المعز جيوشه في جمادى الثانية سنة ٣٦٤ هـ فقاتلت الروم على مقربة من طرابلس وهزمتهم (في شعبان) ، ولكنهم عانوا فهزموا الفاطميين وتحالفوا مع أفتكين المتغلب على دمشق . فسار اليهم عندئذ ريان مولى المعز ومزق شملهم ، وفرح المعز لذلك أيما فرح ، واعتزم أن يشهر الحرب على أفتكين بشدة . ولكن المرض داهمه في أوائل سنة ٣٦٥ . وتلقى آخر مظاهر ظفريه في الحرم حيث علم من الحاج القادمين من مكة ان الدعوة الفاطمية قد اعتنقت في الحجاز ، ودعي له على منابرها (٢) ثم عاجله الموت كما قدمنا ، في ربيع الثاني سنة ٣٦٥ .

وهكذا أنفق المعز عهده القصير بمصر في حروب ومشاغل مستمرة ، وبالاخص في الدفاع عن الدعوة الفاطمية الفتية ، وتوطيد دعائها ، فكيف أتيسح له مع ذلك أن يتفرغ لمثل ما ترميه به الاسطورة الكنسية . من هذيان وسخف ؟ وأني ومتى

(١) يراجع نص هذه الوثيقة بأكمله في المقريري — اتعاظ الحنفاء —

ص ١٣٤ وما بعدها .

أتيح له أن يعجب بالتعاليم النصرانية وان يتذوقها ثم ينتهي الى التنصر والترهب والاقامة في وكر من أوكر القساوسة ؟ وكيف يعقل ان المعز وهو يشتغل بتوطيد أمامته ودعوته ؟ يضربها بنفسه الضربة القاضية ويقيم الدليل برده على كذبها ونفاقها ؟ لقد كان للمعز ، على الاقل من بواعث الحكمة والسياسة القاهرة ، ان لم يكن من البواعث الروحية ، ما يجعله أشد الناس استمساكا بأمامته ودعوته واسلامه وقد اجمع المؤرخون ، على أن المعز كان أميراً وافر العقل والحكمة ، وافر العزة والشهامة ، مستنير السياسة بعيد النظر ، فمن المستحيل عقلاً أن يقدم أمير هذه صفاته على التأثر بدجل القساوسة ، والانفاس في حماة الاساطير الكنسية ، وكيف يقدم منشىء الازهر في فتوته على الارتداد في كهولته ؟ هذا منطلق العقل والعاطفة نضيفه الى منطلق الحوادث والتاريخ الحق .

وأخيراً ، أبرى سميكة باشا أن تردد هذه الاسطورة على السنة القسس وخدمة الكنيسة دليل يصح أن يطرح في ميدان البحث؟؟ فتى كان خدم الكنائس مؤرخين يرجع اليهم ؟ ومتى كانوا بالاخص مؤرخين للاسلام والمسلمين ؟ على أننا نذكر بهذه المناسبة ان اساطير هؤلاء القسس قد زعزعت الايمان في كثير من مواقف التاريخ المسيحي ذاته . ويكفي أنها اسبلت حجابا كثيفا من الريب على تاريخ قبر المسيح ، وجعلت منه أسطورة كنسية وانتهى البحث ببعض أقطاب المؤرخين النصارى مثل جورج فلى الى انكار وجود هذا القبر الذي أنشئ بعد وفاة صاحبه بنحو مائتي عام ، ليكون مبعثاً لاساطير القسس ، وأضحى « القبر المقدس » رمزاً لا حقيقة . على ان القسس لازالوا الى اليوم يعينون لك في كنيسة القيامة بيت المقدس وكنيسة بيت لحم ، مواضع بعينها شهدها المسيح صبياً ونبياً وآثراً ارتبطت بتاريخه أو بصلبه . على انك لن تجد مؤرخاً بمعنى الكلمة بل فرداً عادياً سليم التفكير يقف ذرة عند شئ ، من هذه الاساطير رغم ما يراد أن يسبغ عليها من لون الرسمية والقدسية .

واعتقدنا ان سميكة باشا ، وقد اُحدر في بحره ان الاستشهاد باقوال خدم الكنائس ، يشعر اليوم بكل ما يشعر به مقدم هذا الدليل من خجل . على أن

الاستاذ بتلر ، وقد أصغى الى أساطير أولئك القسس في الكنائس القبطية التي زارها وخصها بمؤلفه قد أصدر حكمة في مقدمة كتابه على قيمة هذه الاساطير وقيمة رواها ، في تلك الكلمة القوية .

« والواقع ان قليلا جداً من الاقباط يعرفون شيئاً عن تاريخهم أو رسوم دينهم ، أو يستطيعون تحليل الامور التي يشاهدونها في طقوسهم اليومية ، فاذا سئلوا عن نقطة تتعلق بالطقوس أجابوا عادة بهز الرأس أو بجواب ظاهر الخطأ يتم عن الجهل (١) »

محمد عبد الله عنان

(١) الاستاذ بتلر في المقدمة (ص ٩)



في يوم ١٥ أغسطس سنة ٩٣١ نشرت جريدة وادي النيل التي تصدر
بالاسكندرية الكلمة الآتية :

حول اسطورة المعز لدين الله

سماحة الاسلام والاقباط

قرأت ما نشر بصحيفتي الاهرام والسياسة حول اسطورة الكنيسة القبطية عن
الخليفة المعز لدين الله الفاطمي التي نشرها سميكة باشا بتقويم الحكومة المصرية
واني لأعلم ممن وسعهم عطف الدين الاسلامي بسعته في قوله تعالى « ولتجدن
أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فما كتبنا مع الشاهدين » أعلم أنهم كانوا قبل
بعثة محمد صلى الله عليه وسلم نصارى حقاً بهذا المعنى الذي وصفه الذكر الحكيم ،
ومنهم نصارى نجران ومنهم اقباط مصر في بدء الفتح الاسلامي أيام كان المقوقس
ينصر عمرو بن العاص على الرومان فرحاً بدخول المسلمين مصر واجلاء الرومان
عنها ، وأيام أسلم من الاقباط. بضعة ملايين لما حكم عمر على ابن عمرو بن العاص
أمير مصر أن يلطمه القبطي في يوم الحج الاكبر أمام وجوه المسلمين ، كل ذلك
أعلمه ولكنني الآن أنكر كل الانكار أن على وجه الارض من يؤمن بعبسى عليه
الصلاة والسلام عبد الله ورسوله وروحه الذي جبل الله الحمل به ووضعه وما أظهره
على يده معجزة أعجز بها أطباء عصره وعلماءه ، وأين هو من يؤمن بعبسى ممن يزعمون
النصرانية في الشرق والغرب ؟

أنا لست أنكر على سواد النصاري الذين هم إمعة بالنسبة لقادتهم من القساوسة
الذين يقودونهم بالاساطير ليتمكنوا من السيطرة على العامة منهم . ولكنني لست
أعلم لتلك السخائم في قلوب أمثال سميكة باشا سبباً يمت الى حقيقة دينية أو حق
أثبتته العقل اللهم إلا هوى بميل بالقلوب بحسب القوة المتسلطة والاحداث الزمنية
شاهد لي . فان نابليون لما دخل مصر وأظهر الاسلام كان معه قائد قبطي يدلّه على

مواضع الضعف من الامة . وكان هذا القبطي يعلم ان نابليون انما أظهر الاسلام ليكيد أمة نجهل ان على وجه الارض شياطين في هياكل أناسي وصدق الله العظيم حيث يقول «شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا» ولما دخل الانكليز بلاد مصر . وكنت طالبا بالازهر أظهر بعض الاقباط شماتة وضیعة بالمسلمين وكان البطريرك إذ ذاك الانبا كيرلس وكان رجلا يعلم ان الأمم باقية والحكومات فانية فطلب اليه أمثال سمیكة باشا في زمان «بارنج كروم» أن يطلب الى الانكليز حماية الاقلية القبطية فأبي عليهم وهددهم بالحرمان والقوم لادين لهم . فسعوا حتى أسقطوه من البطريركية وطرده الى دير حقير . فدعتنا الغيرة يومها لمكانة احترامها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن بعده من الخلفاء الى زماننا . فقمنا جماعة من طلبة الازهر وأحمد بنا طلبة المدارس العليا وتوجهنا في مظاهرة الى سراي الخديوي السابق عباس باشا والي وزير الداخلية حيث كان المرحوم احمد باشا رياض رئيسا للحكومة ونشرنا المقالات الطوال على صفحات « المؤيد » وغيرها احتجاجا على نفي الرجل حتى اضطرت الحكومة أخيراً الى اعادته إذن فنحن لا نعجب من قوم دعاهم الهوى نزلقا للقوة أن يؤذوا رجلا بيده حرمانهم من الملكوت على اعتقادهم . فيطردوه شر طردة الى دير مظلم وكيف لا والهوى أخو العمى ولولا ان الحكومة واثقة بمثل سمیكة باشا لقلت غير هياب ان الرجل يعلم انه يرضي الحكومة بهذا العمل تقربا لاصحاب القوة في مصر الذين هم في حاجة الى عطف اربعمائة مليون مسلم في ظرف كهذا الظرف وبديهي ان أصحاب السلطة في الشرق الآن يسرهم أن يتكثروا على رجال من الشرق يؤلفون بهم الامم وقد يظن جاهل بمحاثق النفوس ان سمیكة باشا وأمثال الذين ينفرون المسلمين من الانكليز انما ينشرون مثل هذه الاساطير خدمة للشرق ليثيروا نائرة انشرفيين من المسلمين والنصارى والارثوذكس والكاثوليك ضد دعوة البروتستنتية التي يرتكز عليها المستعمرون في استعباد الامم فيحكم أن سمیكة باشا بعمله هذا يفتح ابواب الفتن على الانكليز ولا يظن هذا الاغبي احق والحقيقة انه قد يغري المستعمرين بالمسلمين ويفتح باب فتنة يطير بها دعاة النصرانية بين العالم الاسلامي

ليحذروا السذج وجعلوا أن أصغر مسلم بعد قوله لا إله إلا الله محمد عبد الله ورسوله يمقت كل المقت تلك الحزبيلات

على ان الشرقيين يعلمون حق العلم وخصوصاً غير المسلمين ان الحياة الطيبة لا تكون الا اصلاح ذات البين بين المختلفين في الدين . وقد مضى على الشرقيين بضعة عشر قرناً وهم على وفاق تام يتعاونون على البر والتقوى وعلى الرخاء والبأساء المسلم في مسجده والنصراني في كنيسته وقاتل الله الاطماع والجهل بالمستقبل واني لا اعتقد ان الطمع في الزلفى عند المتسلطين هو الذي حدا بأنصار دعاة النصرانية الذين هم في طلائع الجيوش الظالمة أن يقف خطباؤهم على المنابر بالامس يؤذوننا فيمن نغديه بالارواح والاموال والاولاد . ثم يقوم اليوم بعدهم رجل يؤذينا بنشر كتاب باسم الحكومة المصرية المسلمة يقول فيه ان خليفة من ملوك مصر تنصر غير هيباب من حجة التاريخ ولا من حكومة هو أحد موظفيها وعلى رأسها رجل أقل ما فيه انه مسلم يغار لدينه ، ولا من أمة احسنت الى النصراني في مصر كل الاحسان فجعلت منهم الوزير والقاضي والثري ولا من الحكمة الماثورة التي تقول : الحكومات بائدة والامة خالدة ، وهو في النهاية لا يخشى على قومه ومن بعده من حكم التاريخ القاسى الذي يجلبهم بالعار

كان من حق المجاملة على الاقل لو ان للاسطورة حجة أن يرعوى عن نشرها حفظاً لقلوب المسلمين بل صوتاً لكرامة ولي نعمته ومحافظه على شعوره فان نشر مثل هذه الاساطير ، يؤذي المشاعر حتى لو كانت صحيحة فكيف بها وهي قائمة على محض الاختلاق والتزوير ؟

وانا لنعلم معايب تأتي علينا رعايتنا الفضيلة وابقاء الصفاء بيننا وبين من اوصانا الله ورسوله بهم خيراً أذاعتها !!

ولكن سماحة الاسلام هي التي حملت اعداءه من المبشرين واذناب المبشرين على أن يتناولوا الى النيل من قدسيته ، والله غالب على أمره وسوف يظهر دينه على الدين كله .

كلمة أئمة

في رواية المعز لدين الله

أرسل لنا حضرة صاحب السعادة مرقص سميكة باشا الكلمة الآتية :
نشرت السياسة مقالتين عن الرواية الخاصة بالخليفة المعز ليس في الأولى منهما سوى عبارات أرادت بها النيل من شخصي فآهمني بالجهل والتعصب والحقد والذس وسوء النية إلى آخر ما شاء لها أديها أن تلصقه بي . وليس عندي ما أرد به على هذه الشتام الشخصية التي لا تدخل بطبيعة الحال في موضوع البحث سوى أن أقول لها اني ما ادعيت قط اني عالم وما أنا الا طالب حقيقة ابذل في سبيلها كل ما استطيع بذله من جهد وأحمد لمن يرشدني إليها فضله . كما انه ليس من المعقول أن يتهم بالتعصب رجل قضى نحو ثلاثين سنة في خدمة الجوامع والمساجد الاثرية في لجنة حفظ الآثار العربية وشرفه زملاؤه ومنهم من هم أكبر منه مقاما وأغزر علما بانتخابه رئيسا للقسمة الفني في هذه اللجنة

أما المقالة الثانية التي نشرتها السياسة بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان فجوابي على ما تضمنته هو ان كل ما نسعى إليه معشر الاثريين هو تجديد تاريخ كل أثر وبذل المستطاع في هذا السبيل . فالآثار الفرعونية كالأثار العربية بنيت كلها تقريباً في عهد ملوك أو سلاطين نقشوا أسماءهم عليها وتاريخها لهذا السبب معروف بالضبط أو بوجه التقريب . ولكن الآثار القبطية تختلف عنها اذ لا يعرف تاريخ الجانب الأكبر منها الا بطريق الاستنتاج . ولذلك يستعان أحياناً بالروايات التي يرد بها ذكر ملك أو سلطان على الوصول إلى معرفة تاريخها . واذا ذكرت تلك الروايات فانما تذكر لهذا الغرض وحده . وبهذا الاعتبار ذكرت الرواية الخاصة بمعمودية كنيسة أبي سيفين لورود اسم المعز بها . أما موضوع هذه الرواية واصل هو صحيح أو باطل فلم يكن هو المقصود بذكر الرواية المشار إليها . وقد أوضحت هذه الحقيقة لاحد حضرات وكلاء الوزارات في حديث دار بيننا قبل ان يكتب الاستاذ عنان في الموضوع ، والظاهر ان جميع الذين اطلعوا على هذه العبارة في التقويم منذ سنتين فهموا أن ليس المراد بها سوى وصف الاثر الذي اقترن بها لا موضوع الرواية فلم

يجدوا فيها ما يدعو الى أي اعتراض عليها . واذا كنت قد ذكرت بعض المصادر التي ذكرت هذه الرواية قبلي ، فلنكي أنفي عن نفسي تهمة اختلاق .
هذا ما أستطيع أن أقوله رداً على مقالتي السياسة راجياً أن يكون آخر ما يكتب في هذا الموضوع
مرقص سميكة باشا



نشرة جريدة الاهرام مقالة بقلم الاستاذ الشيخ محمد عرفه هذا نصها :

المعز لدين الله واسطورة تنصره

ينبغي لدارس التاريخ أن يكون أمام ما يزاوول من قضاياها كالصيرفي الماهر لا يروج عليه زائف . ولا ينفق عنده مهرج . وأن يعلم أن من اخباره الصادق والكاذب ومن قضاياها الحق والباطل وأنه ان أخذ بمجرد الرواية دخل عليه من الكذب الشيء الكثير وكان كحاطب ليل ربما احتطب في حبله ما يريد وما لا يريد وأنه لن ينجيه من التورط في الغلط الا حسن التثبت وعرض روايات التاريخ على العقل وطبيعة العمران وقواعد العادة فما خالف شيئاً من ذلك طرح وبهرجه .

لو جرى صاحب السعادة مرقس سميكة باشا على هذه الشروط التي ذكرنا لكفانا مؤنة تفنيد هذه الاسطورة التي عزاها الى المعز لدين الله الفاطمي فقد كتب سعاده في تقويم الحكومة عند الكلام على الآثار القبطية في كنائس مصر ما يأتي :

(ان هناك كنيسة صغيرة بها احجية من العصر الفاطمي محلاة بنقوش بارزة تمثل القديسين وعمودية يقال ان الملك المعز لدين الله تعمد فيها سرآ)
وقد ناقشه حضرة صاحب السعادة احمد زكي باشا في نسبة المنصر الى المعز لدين الله فد كر مرقس باشا انه اعتمد على نقلين احدهما « ايتلر » في كلامه على كنائس مصر ونصه : (وفي هذه العمودية عهد السلطان المعز حيناً ارتد الى النصرانية) والثاني كتاب الخريدة النفيسة في كتاب الكنيسة لقسيس قبطي ونصه (قيل ان المعز بعد حادثة جبل المقطم تخلى عن كرسي الخلافة لابنه وتنصر ولبس زي الرهبان وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين)

وقد زعم الباشا ان هذه الرواية متواترة من مئات السنين ونحن ننتقد على الباشا أمرين أولهما انه نقل هذه الرواية واعتمد فيها على مجرد النقل من مؤرخي الكنيسة ولو ثبت فيها وطبق عليها أول علامة الخبر الكاذب وأجال فيها عقله لبان له كذبتها. والثاني انه زعم أنها متواترة وذلك اما ناشيء من

عدم معرفته معنى التواتر أو من انه أراد أن يعالط في قضايا التاريخ وسأين لسعادة الباشا والقراء فساد هذين الامرين

الامر الاول - ذكر علماء النقد ان من علامات كذب الخبر أن تتوافر الدواعي على نقله ثم لا ينقل الا بطريق الآحاد ولا تنقله الجماعة المستفيضة بل يتفرد به الآحاد ولا تنقله الجماعة المستفيضة بل يتفرد به واحد ومثال ذلك أن يكون قوم في مسرح في ليلة واحدة ثم ينقل واحد منهم أن أحد النظارة قبل أحد الممثلين بذبحه بسكين على المسرح ثم لا ينقل هذا الخبر غيره ممن حضر التمثيل هذه الليلة فيقطع بكذب الخبر اذ لو وقع لتوفر الدواعي على نقله من الكثير ولم يختص واحد بحكايته اذ العادة تخيل ذلك . وحكاية تنصر المعز من هذا القبيل اذ لم ينقلها أحد من المؤرخين المسلمين لامن اعداء الدولة الفاطمية ولا من المتشيعين لها وانفرد بروايتها هذا القسيس صاحب تاريخ الكنيسة والفرد بتل نقلا عن خادم الكنيسة مع أنها مما تتوافر الدواعي على نقله لما يحيط به من الغرابة ولأنه خبر نادر لم يحك مثله التاريخ

خليفة مسلم يحكم كثيراً من الاقطار الاسلامية يتخلى عن كرسي الخلافة ويتنصر ويلبس زي الرهبان ويدفن عند موته في كنيسة أبي سمين ، يكون هذا كله ثم لا ينقل هذا الخبر مؤرخ من مؤرخي العصر وهم كثير ويتفرد بروايتهم قسيس قبلي ، فرد واحد لا أقل ولا أكثر ، هذا مما يقطع بكذبه ، أين كان مؤرخو هذا العصر ؟ وأين كان مؤرخو الدولة الفاطمية ؟ وأين كان مؤرخو المعز لدين الله ؟ كل هؤلاء يجمعون على اغفال الحادثة مع أنهم لم يفتلوا ما هو أقل منها شأننا من شؤون المعز واخبار الدولة الفاطمية

ليس المعز خامل الشأن ولا مغمور المكان ولا هو واحداً من غمار الناس وليس الحادث قليل الخطر ، بل هو شديد الخطر عظيم الوقع لأنه ارتداد خليفة مسلم عن الاسلام الى دين النصاري ولبسه زي الرهبان ودفنه في كنيسة المسيحيين ولعل قائل يقول ان اصدقاء الدولة الفاطمية كتبوا ذلك خوف العار وانتقاض المملكة فنقول وأين كان المؤرخون رعايا الدولة العباسية اعداء الفاطميين وهم كانوا يحثون جاهدين عن معايب بلصقونها بالدولة الفاطمية .

ان العباسيين قد عيوا بأمر الفاطميين وغصوا بمكائهم وخافوا منهم على دولتهم وقد قاسمهم الفاطميون ممالك الاسلام وكانوا شجبي في حلق الدولة العباسية وقذى في عينها وكان العباسيون يحاربونهم بالدعاية الدينية فتارة ينفون نسبهم عن آل البيت (بيت الرسول) وبجملتهم أدياء وغلين فيهم ويشهدون على ذلك العلماء وكبار الدولة وتارة يرمونهم بالالحاد والكفر فلم يتركوا هذه التهمة لا يلجون عليهم منها ؟ ولم يتركوا هذا المقتل وقد كان لهم ياديا ويلجأون الى نفي نسبهم وهو مالا يسلمه لهم التاريخ ؟

لو قاس سعادة الباشا الغائب على الشاهد لقطع معنا بكذب هذه الرواية .

ايفرض ان البابا قد اعتنق دين الاسلام ونزل عن كرسى الفانيكان ولبس زي العلماء الازهريين (الجبة والعمامة) ولزم الازهر حتى مات ودفن فيه أ كانت تخرس ألسن الرواة والمؤرخين فلا ينقل هذا الخبر إلا واحد من رجال الازهر وبعض خدمته أم تستفيض بذلك الاخبار ويتحدث به الركبان في الآفاق وينقله الجمع الكثير عن الجمع الكثير

وايس لقائل ان يقول ان تعميم المعز قد وقع سرأ كما ذكر ذلك مرقس باشا في تقويم الحكومه فلم يعلمه إلا الرهبان الذين عمدوه ولذلك اختصوا بنقله فترد على ذلك بأن المراجع التي أخذ منها مرقس باشا واحتج بها لم تذكر حديث السرية بل ذكرت انه لبس زي الرهبان واعتزل الملك ولجأ الى الكنيسة ومات ودفن بها (وما يوم حليلة بسر) وإنما الذي ذكر السرية هو سعادة الباشا وهذا الذي يدعونا الى الظن بأن في المسألة ما هو أكثر من الخطأ إذ لما رأى الباشا الرواية كما هي في مراجعها تفقد أول شرط من شروط صدق الخبر حولها الى ما ذكر لتعضها عقلية هذا العصر

الحق ان هذه الرواية دعاية دينية يبتدعها الرهبان ليحضوا الناس على المسيحية لا أقل ولا أكثر

الامر الثاني — دعواه ان هذه الرواية متواترة منذ مئات السنين . هذا قول الباشا وهو الغريب هل يعلم الباشا معنى الخبر المتواتر ؟ وهل يعلم شروطه ؟ وهل يعلم ما يفيد الخبر المتواتر من العلم ؟ أظن انه لا يعلم ذلك إذ لو كان يعلمه ما جرؤ

أن يدعى التواتر لهذه الرواية ونحن نذكر له ذلك ليعتقد معنا ان روايته ليست متواترة وإنما هي خير آحاد لهم أغراض ومآرب في اثباته

الخبر المتواتر هو ما رواه جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب أي لا بد أن يبلغوا في الكثرة مبلغاً يرى المرء معه ان هؤلاء مع اختلاف أحوالهم وتباين أغراضهم ومشاريعهم ومع كثرتهم لا يمكن أن يتواطؤوا على الكذب فإذا أخبروا بخبر أفاد أخبارهم العلم اليقيني الضروري ومثال ذلك علمنا بوجود مكة فإنا لم نشاهدها وإنما أخبر بوجودها جماعة كثيرة تباينت أغراضهم واختلفت مآربهم فلا يصدق العقل أن يتفقوا على الكذب

وقد اشترطوا في الخبر المتواتر أن يخبروا عن علم لا عن ظن وأن يكون علمهم مستنداً الى الحس والمشاهدة وان تكون نقلته في جميع ادواره بهذه الكثرة وعلى هذه الصفات فلو كان الخبر خبر واحد في مبدئه ثم تواتر بعد ذلك لم يكن خبراً متواتراً ولم يفد اليقين

فهل يرى الباشا بعد هذا ان رواية تعميم المعز متواترة أظن انه رجع عن هذه الدعوى إذ هو لا يمكنه أن يدعى ان المعز حينما تعمد رآه جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وأخبروا بذلك جماعة مثلهم في الكثرة يستحيل تواطؤهم على الكذب وهكذا الى أن وصل الخبر الى سعادته . وكيف يدعى ذلك وهو قد ذكر انه تعمد سراً واذا كان سراً ما شاهده جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب فأين الجهر

على ان من اعتمد عليه الباشا قد نقلوا الخبر وصدروه (بقيل) وهي عنوان الضعف الضعف ولم يستطع سعادته إذ كان بعد مراجعته ان يعد إلا اثنين احدهما أخذ عن خادم الكنيسة والثاني قسيس ولو ضعفنا هذين مائة ضعف أو مائتين لجوز العقل تواطؤهم على الكذب لانهم يخدمون غرضاً هو الدعاية الى الكنيسة انى اعتقد ان الباشا اذا طارح الانصاف رجع عن رأيه في الرواية وأعلن ذلك

محمد عرفه

الرجوع وحذفها من التقويم الجديد

المدرس بكلية الشريعة

الاسلامية

وفي يوم ١٨ أغسطس سنة ١٩٣١ صدر بلاغ رسمي بان من بين الذين قابلهم دولة صديقي باشا في سراي الوزارة (بيولكلى) رمل الاسكندرية مرقس سمبكة باشا ولم يدع سبب هذه المقابلة ولا ما دار فيها من الحديث غير أن جريدة الاهرام نشرت، يوم العشرين من هذا الشهر أي عقب المقابلة كلمة لمرقس باشا بعد ما قرر من أنه نشر كلمته الاخيرة في الموضوع فكانت عودته الي الكلام في موضوع المعز ليس لها من تفسير الا أن حديثهما كان منحصرأ في هذه النقطة واليك ما كتب

كلمة

من مرفص سمبكة باشا

الى فضيلة الشيخ محمد عرفه وسعادة احمد زكى باشا

ما برح حضرات الذين كتبوا أو يكتبون في موضوع رواية المعز لدين الله الفاطمي يصرون على الدعوة بأني أنا صاحب هذه الرواية وانه لم يكن لها أصل ، في مصادر التاريخ . فلحضراتهم أكرر ردي بأن هذه الرواية لغيري لاني وقد ذكرت في عدة مؤلفات أوربية وعربية وسواء كان سند الرواية فيها ضعيفا أو غير ضعيف فذلك ليس من شأني ولست مسئولاً عنه . وفي كلمتي التي رددت بها على صديقي البعثة احمد زكى باشا ذكرت على سبيل المثال فقط كتابا لمؤلف أوربي وآخر لمؤلف مصري

كما أنني لم أعد الحقيقة حين قلت ان الرواية يتناقضها الرواة من جيل الى جيل بدليل ان الدكتور بطر سمعها من ٥٠ سنة فلا يجوز في شرعة العدل أن يوجه لي لوم على تقرير حقيقة لا يدلي فيها

هذا عن مصادر الرواية . أما عن موضوعها فقد شاء حضرات الكتائب أن يفهموا من روايتي في التقوم وبما نشرته في جريدة الاهرام الغراء أخيراً اني مسلم بصحة الرواية — وهذا معني لا يستطيع منصف أن يجده في كلامي لا تصريحاً ولا تلميحاً والاصرار عليه يعد قسراً لعبارة بسيطة على تأدية معنى غير معناها الواضح الصريح .

أما إذا كانوا يريدون بهذا أن يسمعوا مني بعبارة جلية أني لا أصدق هذه الرواية فيها أنا أقولها غير متعدد . وما سمع أحد عنى أو عن غيرى من القبط أننا أقمنا وزنا لرواية كهذه أو جعلناها موضوع تصديق لأنها ظاهرة البطلان ولو أن واحداً من حضرات الكتاب سألتني رأيي فيها من أول الامر بدلا من هذه الحملات الشخصية لكفيتها مؤونة كل هذا العناء

بقي أني قلت — وأقول ثانيه للذين كتبوا والذين يسخرون للكتابة — أني ما ذكرت هذه الرواية إلا كدليل على تاريخ أثر قديم في الكنيسة . ففي كل بلدان العالم آثار ومعالم قديمة كل منها تعزي أو تلتصق به رواية خرافية أو غير خرافية ولكن هذه الرواية كثيراً ما تساعد رجال الآثار على تعيين الزمن الذي وجد فيه ذلك الاثر ولو بالتقريب . فاذا ذكروها فانما يذكرونها لهذا الغرض وحده دون سواه

مرفس سمبلكة



صدقى باشا

يقضى على الرئيسة المرفسية

بادعاء تنصر الخليفة المعز لدين الله

نشرت جريدة الثغر المقالة الآتية لمكتشف هذه الدسيسة الصحفي القديم وهذا نصها
انشأت مقالتي الاولى التى نشرتها جريدة الثغر الغراء يوم ٥ أغسطس الجارى
تحت عنوان (هل تنصر المعز لدين الله الفاطمى الحسينى ، منشىء الجامع الازهر —
هذا ما يقوله فى تقويم الحكومة قبطى متعصب — وهل يليق ان يصدر ذلك عن
مطبوعات الحكومة الرسمية)

وقد اتيت على تاريخ مرقس سميكة باشا وسوابقه فى التعصب ضد المسلمين
وأنه سبىء النية فى دسه هذه الدسيسة فى تقويم رسمى يصدر باسم الحكومة اعتداء
على خليفة من اعظم خلفاء المسلمين وانه اتخذ صورة جلالة الملك فؤاد المعظم فى التقويم
لتأكيد الاهتمام بأن الخليفة المعز لدين الله تنصر فى حياته بعد فتح مصر بجيوشه
الجرارة ونخطيطه مدينة القاهرة وانشائه الجامع الازهر
ثم ختمت المقالة بالعبارة الآتية :

هذا بلاغ للناس قد بيناه فخرجنا به من تبعة العلم والسكوت. فعلى المؤرخين
بل وعلى رجال الازهر الشريف من طلبة وعلماء أن يتولوا الامر بأنفسهم لأنهم
هم الذين يتبأون ظلًا وارقامه المعز لدين الله بل هم وحدهم الذين امتلكوا تراثا
تركه للمسلمين منذ نحو الف من السنين ، نعم عليهم أن يدافعوا عن عقيدته التى
لقى الله عليها والمعروف أنها العقيدة الاسلامية وما شاد المعز هذا الجامع الا ل حفظ
هذا الدين القويم

على الازهر عامة ومشيخة الازهر خاصة والمؤرخين بالاختصاص أن يسعوا فى
القضاء على هذه الفرية بابادة ذلك التقويم الذى صدر بعد أن مضى من العام الذى
خصص له سبعة أشهر . وكان مما لا يضر أن تبقى الشهور الخمسة من غير أن يكون
لها مثل هذا التقويم الاثيم .

والآن فقد بلغت . فاللهم اشهد فأنت على كل شيء شهيد .

نشرت جريدة النور هذه المقالة فهب الغيورون من الكتاب وفي طليعتهم احمد زكي باشا عميد دار العروبة والسيد احمد ماضى أبو العزائم وغيرهما كثيرون يؤازرون دعوتى ويؤيدون كلنى فلهم منى أطيب الشاء واجمل الحمدة

وبالرغم من هذه الماحمة القلمية التي اشتركت فيها جرائد الاهرام والسياسة ووادي النيل (بالاسكندرية) ومصر والبلاغ والمقطم فان مرقس سميكة باشا جرى على سنة المبشرين من اشعاله نار الجدال ترويحاً لفسائسهم بالمسكابرة والعتاد والادعاء بان الامر حقيقي ولو لم يكن له مستند الا أقوال خدمة الكنيسة الذين يستجدون الزائرين ويستدرونهم الرغد برواية أغرب القصص الذي يطرب اسماعهم وأي طرب يعتري المسيحي خصوصاً اذا كان جاهلاً — من أن يقال له ان خليفة من أعظم خافاء المسلمين فتح مصر وأنشأ الجامع الازهر تنصر وتعمد في هذه المعمودية . ألا يفرغ كل ما في جيبه من النقود في حجر ذلك الذي يحمل اليه هذه البشارة ؟

استمر مرقس باشا على عتاده حتي دعاه الى بواكلي برمل الاسكندرية حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدق باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية المنسوب اليها صدور ذلك التقويم الاثيم .

وما كاد خبر هذه المقابلة يذاع حتى كثر القيل والقال فظن قوم أن مرقس سميكة باشا احتال في الحصول على هذه المقابلة ليوهم الناس أن رئيس الوزارة ووزير المالية راض عن التنويم بعد زيارته « أديار » وادي النظرون واذا كانت تلك الاديار وسكانها لا تعجز عن تعميمد الخلفاء والملوك سرآ » فهل تعجز عن تعميمد الوزراء ما داموا يعتصمون بالسرية !!

ولكن اليوم ظهر للعيان السر في مقابلة دولة صدق باشا لمرقس سميكة وانما كانت مقابلة تعلم فيها مرقس سميكة باشا وامثاله درساً جديراً بالاعتبار . تعلم فيها أن الذي يلعب بالنار لا بد أن تحرق يديه مهما برع في الحيل والفسائس تعلم مرقس سميكة باشا أن الذي يحاول ايقاظ الفتنة النائمة لا بد أن يصب على رأسه الحميم وكل ما في الجام مما اعد لمن يوقظ الفتنة النائمة

ان صدق باشا وزير جدلاً يعرف اللعب وأذا كان الدستور قد قرر أن « الاسلام دين الدولة » فهو ينفذ الدستور بغير هوادة أو تسامح

أخذ مرقس سميكة الدرس وتعلمه جيداً فرجع عن حملة التبشير الخفية ضد الاسلام هزيماً شأن كل رعديد أثار موقعة لا يقوي على الاصطدام فيها، هزم مرقس سميكة فعدا على الاهرام يستغيث قائلاً :

« اذا كانوا يريدون أن يسمعوا مني بعبارة جلية اني لا أصدق هذه الرواية (يزيد رواية تعمد المعز سراً في معمودية كنيسة أبي سيفين التي أوردتها بقله في تقويم الحكومة) فما أنا أقولها . غير متردد . وما سمع أحد عني أو عن غيري من القبط (بالله دع القبط في شأنهم ولا تلصق بهم سخافاتك) اننا أقمنا وزناً لرواية كهذه أو جعلناها موضوع تصديق لأنها ظاهرة البطلان !!! »

بعد هذا نعلم ان الرؤوس الجالحة لا ترددها إلا اللجم القوية وان حكومة صدي باشا ليس مما تروج فيها أسواق السخافات بل انها تترصددها بالشهب وانزجوم، فليعلم من لم يكن يعلم ان الذي لا ترده الملامة عن غيه فله شيء آخر يقرع به .

« * »

فيا أيتها الروح الحائرة ، روح المعز لدين الله ، روح المجاهد في سبيل الله إرجعي الى ربك راضية مرضية . فقد أدى واجبه وزير خليفتك على مصر . جلالة فؤاد الاول الذي يجلس من مصر مجلس المعز لدين الله ينشر فيها العدل والامان . فهذا الوزير الحازم قد ألزم بسيف حكمته ذلك الباغي أن يقطع بيده لسان فريته أرجعي أيتها الروح الطاهرة الى مقرك في دار الخلود، وأنت أيتها العظام الشريفة المضطربة في قبرك الكريم اهدي . الطائي . قري في مكانك . فهذا وزير خليفتك قد أحسن الى سمعتك صنعا كما أحسنت في حياتك الى المسلمين والاسلام صنيعاً

أبا السباع يا حامي الذمار . ألا من عزمة تبيد بها ذلك التقويم فتجمله طعمة للنار ليعلم الناس في المشرقين ان الحكومة لم تكن راضية عن هذه الديسة التي أدخلها عليها من أحسنت به الظنون وما كل من يحسن به الظن يكون أميناً انه سيقول غداً لقد أكرهت على اعلان ما قلت فتاديا من الوقوف في قفص الاتهام . أما صدور تصريح بمصادرة التقويم فهو الحق الذي لا يمكن للمبطل أن يأتيه من من بين يديه ولا من خلفه ، أفعال مشكوراً . تكن لك كلتا الحسينين والله عند

وفي يوم ٢١ أغسطس نشر المقطم ما يأتي :

امير المؤمنين المعز لدين الله الفاطمي

لحضرة ابراهيم بك جلال القاضي بمحكمة طنطا الالهية

هو الرابع من خلفاء الفاطميين ولكنه الاول بالديار المصرية .
وكان عالماً فاضلاً جواداً حسن السيرة منصفاً للرعية ملماً بعلم النجوم
خطب له على منابر الغرب كله من أقصى المغرب الأقصى الى بركة ومصر
والشام والحرمين واليمن وبعض العراق وكانت جزيرة صقلية وسيليا وأقاليم جنوبي
من أملاكه وكان أسطوله ٦٠٠ قطعة بسود البحار

وكانت عصبية دولته من قبائل البربر صنهاجة وزناتة ولوانة وكنامة ولكن
العنصر الرومي من أبناء صقلية كان ظاهراً بين جنوده وخاصته وعلى رأسهم قائده
العظيم جوهر الصقلي

وقد جلس المؤرخون على اختلاف مشاربهم يعددون مناقبه وحسن سياسته
وحزمه الذي يفوق حزم المنصور العباسي فقال عنه المقرئ (ج ١٦٤ ص
« لقد استدعى المعز في يوم شات عدة من شيوخ كتامة وهم أنصار دولته من
البربر فدخلوا عليه في مجلس فرش باللبود وحوله كساء وعليه جبة وحوله أبواب
مفتحة تفضى الى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب فقال يخاطبهم ويفصح عن
رأيه وسياسته الرشيدة

« يا اخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لام الامراء وانها
الآن تسمع كلامي أترين اخواننا يظنون أنا في هذا اليوم تأكل وتشرب وتنقلب
في الثقل والديباج الحرير والسمور والمسك والقباء والخز كما يفعل أرباب الدنيا
ثم رأيت أين أنفذ اليكم فاحضرتكم لتشهدوا حالي اذا خلوت دونكم واحتجبت
عنكم واني لا أفضلكم في أحوالكم إلا بما لا بد لي منه من دنياكم وبما خصني الله
به من امامتكم واني مشغول بكتب ترد علي من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطي
واني لا أشغل بشيء من ملاذ الدنيا إلا بما يصون أرواحكم ويعمر بلادكم وينذل
أعداءكم فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما أفعله ولا تظهروا التكبر والتعجب

فينزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم ونحنوا على من وراءكم ممن لا يصل الى لتعنى عليكم ليتصل في الناس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل وأقبلوا بعده عن نساكم والزموا الواحدة التي تكون لكم ولا تشرهوا الى التكثر منهن والرغبة عنهن فيتغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا ابدانكم وتذهب قوتكم فحسب الراجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتم بابدانكم وعقولكم واعلموا انكم اذا لزمتم ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب المغرب لكم «
ومثل هذا انقال من الامام المعز يميظ للناس النقاب عن زهده ويقظته وسهره على دولته وحرصه على حياة رجاله وحبه العدل

ويدلك على رسوخ قدمه في الاسلام وكال ثقته بنسبه الشريف ان حربا قامت في الحجاز في عهده بين بني عمه امراء مكة من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب وبين بني عمهم من سلالة جعفر بن أبي طالب فأصلح المعز بينهم وحمل ديات القتلى منهم من ماله وانفذ المال مع وفوده فصارت هذه اليد له عند بني الحسن وكان ذلك عام ٣٤٨ هـ فلما فتح جوهر الصقلي مصر بادر الحسن بن جعفر بالدعاء للمعز على منبر مكة المكرمة

ومن حسن سياسته انه اذا وثق من اخلاص أحد رجاله وسرته كفايته غمره بما لا مزيد عليه من نعمته وأعلن بين الناس رضاه عنه
فقد خرج قائده العظيم جوهر الصقلي وأحسن نشأته فكان قائداً مجرباً حازماً موفقاً في البعث مسعود الحركات عظيم الاخلاص لمولاه المعز وامتدت فتوحاته الى اقصى المغرب من جانب المحيط وحمل الى مولاه من ماء المحيط سمكة في إباء به ماء ليدل على مبلغ ما انتهى اليه الفتح

ولما عزم المعز على فتح مصر أعد لها جوهر آ الصقلي وأمره على « مائة الف فارس » واطلق يده في بيوت الاموال وأجمع المؤرخون ان المعز انفق على جيش جوهر ٢٤ مليون دينار وهذا بحق هو ذهب المعز وخرج يشبع جوهر آ بنفسه وأمر اولاده واخوته الامراء وولي العهد وسائر أهل الدولة أن يمشوا في خدمة جوهر وهو راكب . وكتب الى سائر عماله يأمرهم اذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا مشاة في خدمته

فلما قدم جوهر بركة أراد واليها أن يهديه ٥٠ الف دينار على أن يعفيه من
ترجله ومشيه في ركابه فأبى جوهر الا أن يمشي في ركابه كما أمر بذلك مولاه
المعز ورد الهدية الى والي بركة

وكان المعز قد أنفذ مع جوهر قائداً مغربياً يدعي جعفر بن فلاح فانفذه جوهر
لفتوح الشام فلما فتحها شمع بأنفه وكان يرى نفسه أجل من جوهر فأرسل البشري
بفتح الشام الى المعز رأساً دون أن يعلم جوهر أن فرد اليه المعز كتبه باختامها
وكتب اليه :-

« قد اخطأت الرأي لنفسك نحن قد انفذناك مع قائدنا جوهر فاكتب اليه
ولا تتجاوز بعد »

وفتح جوهر مصر للفاطميين مواليه عام ٣٥٨ هـ وبادر ببناء مدينة القاهرة
المعمرة الخالدة وهي الباقية الى اليوم من مدائن الاسلام بمصر ولم يبق الاثمانى
سنوات حتى يحتفل الناس ببلوغها ألف عام
وبعد أربع سنوات من الفتح قدم المعز مصر مع ابنائه وأهله وعمومته
وأنصاره .

وضع المعز شهسية جليلة القدر توضع فوق الكعبة المكرمة فلما أتم صنعها
نشرها يوم عرفه على ايوان القصر الكبير وكانت سعتها ١٢ شبراً طولاً في مثلها عرضاً
وارضها من الديباج الاحمر وبعلوها ١٢ هلالاً من ذهب في كل هلال اترجة من
ذهب ملبك وفي جوف كل اترجة دوة كبيرة كبيض الحمام وفيها الياقوت الاحمر
والاصفر والازرق وقد كتب على دائرتها آيات الحج بزمرد اخضر ولما نشرها
على ايوان القصر كان موضعها عال يراها من في القصر ويراها الناس من خارج
القصر وقد نصبها عدة فراشين لثقل وزنها

وقد ابتكر المعز في الجنديية بمصر نظام الفروسية ولعله اقتبس من فرنسا واسبانيا
في ذلك العهد فابتنى في شمال القصر الكبير سبع ثكنات كبار سموها حجر الصبيان
كان امتدادها من يسار حارة الجوانية الحالية لغاية باب القصر واختار من ابناء
الناس الشبان الذين عرفوا بالشهامة وجمال الخلق وقوة البدن وطول القامة وجمع منهم
خسة آلاف شاب وأقام لهم المعلمين يلقنونهم سائر العلوم وفنون القتال واساليب

الحرب وزودهم بأحسن أنواع السلاح وأخذ لهم اصطبلات لحيولهم في الفضاء الذي كان أمام ثكناتهم وكان أولئك الفرسان لا يمارسون القتال على التوالي بل كانوا على غاية الاهبة رهنا لاشارة من القصر وقد خرج من مصافهم كبار قواد الدولة وكان بينهم رجلان قد بلغا الغاية في شدة البأس والشجاعة احدهما ابن فائز والآخر الديلمي وقد عرفت شجاعتهم في كافة الثغور وكان الرجل منهما يأكل الخروف المشوي لفرط مهمه وقد احببهما الخلفاء واغدقوا عليهما جوائزهم وفي ٢٥ أغسطس نشر ما يأتي :

لما قدم القائد الكبير جوهر الصقلي فاتحاً الديار المصرية بادر الى بناء القاهرة لتكون دار الخلافة العظمى فكان تخطيطها يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ وأتم بناءها في ثلاث سنوات فشيدها قصر الخلافة وهو القصر الشرقي ومكانه الآن خان الخليلي والمشهد الحسيني ممتداً الى الجنوب الى أول شارع الصناديقية بالغورية والى الشمال الى جدار الجامع الاقمر القائم الآن تجاه سبيل السلحدار وكانت مساحتها أول الامر ٣١٥ فداناً وطولها ١٢٠٠ متر وعرضها ١١٠٠ متر وكانت مساحة القصر خمس مساحة المدينة ثم بنى الجامع الازهر الى جنوب القصر وبينهما رحبة عظيمة وطوق المدينة بسور عظيم وأقام شمالها خندقين متجاورين عرض كل واحد عشرة أذرع وعمقه كذلك وصار الخندق بعد ذلك ضاحية للقاهرة وهي عزبة الدمرداش المعروفة واتخذ في السور عدة أبواب وشيد نحو عشرين حارة للأمراء والجنود الذين في خدمة الخلافة

ودخل المعز مدينة القاهرة يوم الثلاثاء ٧ رمضان سنة ٣٦٢ بين عشائه وجنوده وشيعته العظيمة وكان دخوله من باب زويلة وهو غير الباب الذي نراه اليوم (باب المتولي) فان ذلك الباب كان الى الشمال من الباب الحالي ومكانه ملاصق لسبيل العقادين الذي على باب حارة الروم — فلما مضى من عمر الدولة مئة عام قام وزيرها أمير الجيوش بدر الجمالي فزاد في امتداد القاهرة الى الشمال والى

الجنوب وبني باب زويلة وبني بابي النصر والفتوح الحاليين حتى أصبحت مساحتها ٤٠٠ فدان

وكانت قبيلة زويلة المغربية في ركاب المعز عند دخوله القاهرة ولذلك سمي الباب الذي دخل منه باسم تلك القبيلة كما سمي الباب الغربي للمدينة باسم بن حيان الصقلي وهو القائد الذي دخل بمجنوده منه وإلى الآن يسمى أثره درب سعادته أما مكانه ففي البناء الذي فيه محافظة القاهرة الآن

وكان قصر الخلافة قد بلغ الغاية في الجمال والزخرف فلما بلغه المعز خر ساجداً لله وصلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل معه

وقال المؤرخون في وصف الأيوان الكبير^١ انه فاق في سعته ورونقه قصر الخلد الذي للرشيد بيغداد فقد كان ينصب فيه السماط في المواسم والاعياد وطول السماط ٣٠٠ ذراع وعرضه ٧ ازرع فكم كان طول هذا الأيوان العظيم ولو علمت أن ذلك الأيوان على سعته البالغة وعلوه الباذخ كان يزين باستار الديباج المذهب وبسط الحرير الموشي وان ما يفرش فيه صيفا غير ما يفرش فيه شتاء لاحظت ببعض ما بلغت تلك الدولة المصرية من الجاه والثروة والنعمة

وقد جعل المعز مدينة القاهرة ذات حرمة وتقديس فلا يجوز سكنها لغير الخليفة وأهله وجنوده الخاصة وكانت مدينة الفسطاط أو كما كانت تسمى (مدينة مصر) هي العاصمة التجارية والاجتماعية ترد إليها البضائع وتصدر عنها وفيها مقر الاعيان وارباب الثروة ورجال العلوم والصنائع والحرف وكانت الثروة عظيمة والتجارة واسعة بسبب اتساع ملك الفاطميين كما كان الرخاء بالعامداه فقد بيع أيام المعز كل خمسة ارادب بدينار

وكان الشارع الممتد من شمال القاهرة الى جنوبها من باب الفتوح وباب زويلة يسمى قصبة القاهرة وكانت تلك القصبة ذات حرمة وافرة وهيبة مستمدة من هبة الخلافة فكان رسل ملوك الروم اذا بلغوا باب الفتوح نزلوا عن دوابهم وساروا الى القصر سعيًا على الاقدام وكانوا يقبلون الارض طول الطريق وكان لباب الفتوح بالذات حرمة كبيرة فاذا غضب الخليفة على احد من

الناس تراه قد خرج الى باب الفتوح وكشف رأسه واستغاث بعفو أمير المؤمنين حتى يؤذن له بالسير الى القصر

وكان لا يجوز ان يمر بقصبة القاهرة فارس يسوق فرسه ولا يمر بها حمل تبن ولا حمل حطب ولا يمر به سقاء الا وداويته مغطاة

وكان ارباب الحوانيت بالقصبة يعدون عند كل حانوت زيرا مملوءا بالماء مخافة الحريق ويوقدون على الحوانيت القناديل طول الليل فتضىء الى الصباح بل كانت كل دروب القاهرة وسككها وشوارعها وحوانيتها ودورها منارة لئلا فكننت تسير من القاهرة الى القسطنطينية في أنوار ساطعة

وكان اطول الشوارع المار من رأس الحسينية الى بوابة السيدة نفيسة وكان طوله ٤٦٠٠ متر وفيه ١٢٠٠٠ حانوت للتجارة وقد كان يضاء ليلا وهذا غاية ما يبلغ اليه الترف والمدنية والجاه بدول العالم

وكانوا قد أعدوا الكناسين يكنسون شوارع القاهرة ويرشونها كل يوم ويقطعون ما تجمد على الارض من التراب حتى لا يعلو أرض الشوارع عن المستوى الطبيعي وكان الخليفة اذا تحرك موكبه للصلاة بالمسجد كنسوا الرحاب الفسيحة وفرشوا بها الرمل الاصفر

وقد زار القاهرة ساح فارسى يدعى الناصر خسرو وذلك بعد بناها بخمسين عاما فقال عنها « انه قل ان يجد لها شبيها في مدن العالم وأغلب دورها من خمس طبقات أو ست ولحسن الصناعة واتقانها يظن الناس انها بنيت من الحجارة الكريمة .

فلما زال ملك الفاطميين عن مصر صارت القاهرة مدينة سكني للجمهور الناس بعد ان كانت للخليفة وخواصه فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام

وكان المعز من المعجبين بالشعر والادب يصل الشعراء ويجزل لهم المصيلات وكان شاعره الفحل ابن هاني الاندلسى فقد كان في منزلة المنبى وجاء بالدرر الغوالي من المديح والثناء على المعز وعراقة نسبه ولكن هذا الشاعر العظيم قتل قبل دخول المعز الى مصر فاشتد أسفه عليه وقال لقد كنت أرحم أمة من أمة المشرق .

وكان المعز حريصا على حيازة آلة الحرب ذات الاثر التاريخي فجمع في خزائن سلاحه سيف جده علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ويدي ذي الفقار وضم اليه الصمصامة وهو سيف عمرو بن معدي كرب ازيدي وسيف جده الحسين بن علي ابن أبي طالب ودرعه ودرقة حمزة بن عبد المطلب وسيف كافور الاخشيدي واشتد ولعه بآثار الخلفاء العباسيين كأنه كان يحدث نفسه بأنه وارث ملكهم وهذا هو الذي افعم صدور العباسيين حقداً وكرهية

فجمع المعز بين ذخائره أكثر من مئة من كاس ثمينة نقش عليها اسم هارون الرشيد وغيره من ملوك العباسيين وحاز المضرب الحرير الاسود الذي مات به هارون الرشيد بمدينة طوس وسرادق من الحرير الاحمر منسوج بالذهب كان للخليفة المتوكل العباسي وجمع الى ذلك تلك الحصير الثمينة المنسوجة بالذهب واللؤلؤ وهي التي جلست عليها بوران بنت الحسن بن سهل على الخليفة المأمون العباسي

وكان أكبرهم المعز أن يروى غلة العلم والادب وهي سليقة فبنى بالتصر أوبعين خزانة للكتب جمع بها زهاء مئتي ألف مجلد فمنها كتب الفقه على جميع المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتاريخ وسير الملوك وعلوم النجوم والروحانيات والكيمياء والطب والمصاحف الكريمة وبقايا الخطوط المنسوبة لكبار الخطاطين وقد أجمع المؤرخون على ان دار الكتب الفاطمية كانت من عجائب الدنيا ولم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم منها

وقد صنع المعز أطلسا في الجغرافيا من الحرير الازرق المنسوج بالذهب وسائر الوان الحرير بين فيه أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومسالكها وخطط به مكة والمدينة وكتب اسماء المدن والجبال والبحار بالذهب أو الفضة أو الحرير وذيل الأطلس بما يأتي : —

أمر بعمله المعز لدين الله شوقا الى حرم الله واشهاراً لمعالم رسول الله في سنة ٢٥٣ هـ والنفقة عليه (٢٢ ألف دينار)

وصارت القاهرة من عهد المعز حاضرة الاسلام الكبرى كل أيام الفواطم الى

ان دالت دولتهم عام ٥٦٧ هجرية

نصريح فضيلة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الازهر

وفي ٢١ أغسطس تاتي حضرة الاستاذ الفاضل احمد عبد الحلیم العسكري أحد محرري الاهرام من حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ الاحمدي الطواهرى شيخ المعاهد الدينية التصريح الآتى

السؤال — واسطورة تنصر المعز لدين الله يامولانا . فهل بلغ الى مسامح فضيلتكم تلك الضجة التي اقيمت بشأنها وهل من الانصاف أن يقال عن المعز لدين الله مؤسس الازهر انه تنصر فى احدى الكنائس ؟

الجواب — نعم سمعت بها وعنيت بموضوعها كل العناية لان المعز لدين الله عظيم من عظماء التاريخ الاسلامى وكان من آثاره بناء الجامع الازهر وهذه الاسطورة لا أساس لها من الصحة . وقد دهش الناس حينما علموا انه ورد فى التقويم الذى نشرته المطبعة الاميرية عند الكلام عن كنيسة أبى سيفين « ان بجانبها كنيسة يقال ان الملك المعز لدين الله قد تعمد فيها سراً » أقول دهش الناس لمثل هذا ، وذلك لان لهذا التقويم صبغة رسمية يجب أن يبره معها عن مثل هذه الاسطورة التي تضاد الواقع وتمس العواطف الاسلامية . واذا كان قد فات القارئ بأمر هذا التقويم ملاحظة ذلك فقد سررت ان حضرة مدير المطبعة قد كتب فى صدره « انه رغما من بذل العناية فى جمع هذا التقويم لا يزال يحتاج الى معونة كل من يطلع عليه فيرشدنا الى نقص أو خطأ وقع فيه أو الى اقتراح يزيد معه فائدته » ولذلك أرجو أن يبادر الى تدارك هذا الخطأ فى اقرب وقت

واني لأعتقد أن حكومة جلالة مولانا الملك حفظه الله للدين والبلاد والعباد تعمل دائماً على كل ما يصون الحقائق التاريخية والعواطف الاسلامية وانها على رأسها حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدق باشا الحازم الحكيم تعمل دائماً على تحقيق رغبات جلالة مولانا الملك فيما يتعلق بالشؤون الدينية والعلمية والخلفية والاقتصادية وعلى توفير اسباب السعادة والهناء لهذه الامة الكريمة التي قابلت نبأ عدول حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك عن السفر للاستشفاء، ائثاراً لمصلحتها

على صحته الغالية المفداة بعظيم الابتهاج والشكر والضرارة الى الله سبحانه وتعالى
أن يقيه محروسا بمنابته الصمدانية ممتعا باوفر انواع الصحة والهناء، قرير العين بسمو
ولي عهده



ونشرت جريدة البلاغ ما يأتي :

المعز لدين الله الفاطمي

للدكتور حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ بكلية الآداب

كثر الكلام في هذه الايام حول المعز لدين الله الفاطمي وظن البعض انه اعتنق النصرانية بعد مجيئه الى مصر في سنة ٣٦٢ هـ . وظل على نصرانيه الى ان مات في سنة ٣٦٥ . وقد تصدي للرد على هذا القول حضرة صاحب السعادة الاستاذ احمد زكي باشا وحضرة القاضي الفاضل الاستاذ ابراهيم جلال . كما ورد لهذا الموضوع ذكر في حديث حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر المنشور بجريدة الاهرام الصادرة في ٢١ أغسطس الجاري :

لهذا رأيت من واجبي ، كأحد المشتغلين بالتاريخ الاسلامي . أن أقول كلمتي في هذا الموضوع ، متحاشيا ذكر ما يتعلق بحياة المعز السياسية والادارية ولقد كفانا حضرة الاستاذ ابراهيم جلال مؤونة ايراد نص الخطبة التي القاها المعز على رؤساء كتامة في مدينة المنصورة حاضرة ملكه في بلاد المغرب وهذه الخطبة لاترك مجالاً للشك في مبلغ زهد المعز ، ففيها تبين السياسة التي جرى عليها المعز . إذ قد أوضح فيها لاتباعه عيشة الزهد والتقشف التي يعيشها ، فبين لهم انه خصص همته لبلوغ غاية واحدة . هي نشر نفوذه الديني والزمني في المشرق (واني لا أفضلكم في احوالكم إلا فيما لا بد لي منه من دنياكم ، وبما خصني الله به من امامتكم . واني لا اشتغل بشيء من ملاذ الدنيا إلا بما صان أرواحكم ، وعمركم بلادكم ، وأذل أعداءكم . وقع اضدادكم فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما فعله ... الخ)

وان العهد الذي قطعه جوهر على نفسه ، بصفته قائد الخليفة المعز وناثبه في مصر ليعطينا صورة صادقة للسياسة التي عول الفاطميون على نهجها من الوجهتين السياسية والدينية في مصر خاصة والشرق عامة . ويجمل بنا أن نقل شيئاً عن هذا

العهد عن المقرئ في كتابه اتعاظ « الحنفا بأخبار الخلفاء » (ص ٦٧ - ٧٠)
عساه يبين للقارىء مبلغ تدين المعز وقائده ، ومحافظتهما على الشعائر الدينية
الاسلامية . يقول المقرئ « فعاجله (أي عاجل عدوهم القرامطة والبيزنطيين)
مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه باخراج العساكر المنصورة ، وبإداره
بانفاذ الجيوش المظفرة دونكم ، ومجاهدته عنكم وعن كلفة المسلمين ببلدان المشرق
التي عمهم الخزي وشملتهم الذلة . . . وآثر إقامة الحج الذي تعطل ، وأهل العباد
فروضه وحقوقه لخوف استولى عليهم . . . وان أجبركم في الموارث على كتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال
من غير وصية من المتوفى بها ، فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال . وأن أتقدم في رم
مساجدكم وتزيينها بالفرش والايقاد . وان أعطي مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس
فيها أرزاقهم . . . وان تتركوا على ما كنتم عليه من اداء المفروض في العلم والاجتماع
عله في جوامعكم ومساجدكم . وثباتكم على ما كان عليه سلف الامة من الصحابة
رضي الله عنهم . والتابعين بعدهم . وفقهاء الامصار الذين جرت الاحكام بمذاهبهم
وفتواهم . وان مجري الاذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه .
والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله في كتابه . ونصه نبيه صلى الله عليه وسلم في
سنته وأجرى اهل الذمة على ما كانوا عليه .

فهذا العهد يكشف لنا السياسة التي سار عليها المعز ومن أتى بعده من الخلفاء
الفاطميين ، وهي سياسة قوامها المحافظة على الشعائر الدينية . وتدعيم الاسلام .

ويحدثنا ابن خلكان (وفيات الاعيان ٢ ص ١٣٤) ان المعز عند ما دخل
الاسكندرية في ٢٣ شعبان سنة ٣٦٢ . قدم عليه اعيان البلاد ، فخطبهم خطبة طوبلة ،
أخبرهم فيها انه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه ولا مال . وانما أراد إقامة الحق
وحماية الحجاج وعلان الجهاد ضد الكفار وأن يهتم حياته بالاعمال الصالحة ، ويعمل بما
أمر به جده صلى الله عليه وسلم . ووعظهم وأطال في الوعظ حتى استدر دموع
بعض الحاضرين

وهذا يدل على أن الفتوح التي قام بها المعز ، كان الغرض الاول منها الجهاد

ضد الكفار ، وم في نظره البيزنطيون المسيحيون الذين هددوا بلاد الشام التي كانت تابعة لمصر في ذلك الحين ، وكذا غيرها من البلاد الاسلامية .

فاذا كان المعز ينشد التترب الى الله سبحانه وتعالى عن طريق الجهاد ضد هؤلاء البيزنطيين ، فكيف يعقل اذاً أن يتحول عن دينه مع تصريحه في خطبته انه أراد بمجاهده اقتفاء أثر جده محمد صلى الله عليه وسلم ، مؤسس دعائم الدين الاسلامي ولسنا نشك في صدق رواية ابن خلكان لتعصبه للمذهب السني الذي يخالف المذهب الشيعي مذهب الخلفاء الفاطميين .

وبحدثنا ابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٢) في موضع آخر ان المعز لما وصل القاهرة ودخل القصر الذي بناه له جوهر وصار في احدى ردهاته ، خر ساجداً لله تعالى ثم صلى ركعتين . ومن ذلك وغيره ترى شدة تمسك المعز بالاسلام ، وحرصه على انتشار سلطان الدين ونفوذه .

فاذا كان المعز يعتقد ان مصر بلاد اسلامية يتمسك السواد الأعظم من أهلها بالمذهب السني المخالف للمذهب الفاطميين ، فكيف يتصور أن يطرح الدين الاسلامي الذي نشأ عليه ، وجاهد في سبيل اعلاء شأنه وفتح ما فتحه من البلاد باسمه ، وبقي خليفة مسلماً قبل مجيئه الى مصر زهاء احدى وعشرين سنة — كيف يصح في الاذهان انه يتحول عن الاسلام كلية . الى دين لا يدين به الا اقلية قليلة من المصريين ، وهو في أوائل عهد خلافته في مصر التي ظل يدأب على اقرار النظام فيها ، سيما اذا علمنا أن أكثر المصريين كانوا — كما ذكرنا — يدينون بالمذهب السني ، وينظرون الى الشيعيين والمعز على رأسهم نظر البغضاء والكراهة ؟ واذا كان المعز نصرانياً — ولو في الباطن — فلا ينتظر منه أن يعمر المساجد ، وينشيء الجامع الازهر العظيم ، وأن تضرب السكة باسمه ، ويشيد فيها بالاسلام وبالنبي وعلي ابن أبي طالب وأولاده من بعده ، فينقش عليها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ارسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . والصلاة على افضل الوصيين ، وزير خير المرسلين ؟

ويقول المؤرخ المصري الحسن بن ابراهيم بن زولاق المتوفى سنة ٣٨٧ هـ .

والذى عاصر المعز لدين الله ، ان المعز ابطل اقامة الاحتفال بعيد النوروز ، وصلب كل من لم يخضع لهذا الامر . ونحن ننقل قول ابن زولاق للقاري : « ثم لما تولى المعز مصر ، منع التبط من صب المياه في يوم النوروز في الطرقات ، ووقود النار (في تلك الليلة) ومن النزول في المراكب . وضرب الخيام على شاطئ البحر (يعنى النيل) عند المقياس ، لانه كانت تحصل بسبب ذلك مفسد عظيمة ، فابطل (ذلك جميعه ، ونادى ان كل من يفعل ذلك يصلب ، (المكتبة الاهلية بباريس . مخطوط ١٨١٧ ورقة ١٤٨)

فاذا كان المعز قد تنصر ، أفلا يكون من المنتظر أن يفض الطرف عما يحدث من الاضطراب في ذلك اليوم ؟ هذا إذا علمنا أن غيره من الخلفاء الفاطميين قد سمحوا بالاحتفال بهذا العيد وغيره من أعياد النصارى . كيوم القتل ويوم الميلاد وعيد النصر وخمس العهد ، فقد ابقوا عليها مشاركة للاقباط في شعورهم الدينى ، كما كانت الحكومة الفاطمية توزع الهدايا في هذه الاعياد على كبار رجال الدولة وان اسناد الفاطميين بعض المناصب الكبرى للاكفاء من أهل الذمة قد يحمل البعض على الظن بان المعز — أو غيره من الخلفاء الفاطميين قد خرج على الاسلام ودان بالنصرانية . وهذا الظن مصدره بعض الكتب الكنسية ليس غير ، أو مظاهر العطف التي كان يحوط بها الفاطميون المصريين من أهل الذمة وليس هناك شك في أن الفاطميين قد بالغوا في مجاملة أهل الذمة ، فقلدوهم الاعمال الكتابية والحسابية والتحرير في ديوان الخليفة ، حتى بلغوا المناصب العالية كالوزارة . وهنا يقول بحق الدكتور أوليردي دي ليس في كتابه « موجز عن تاريخ الخلافة الفاطمية » (ص ١١٤)

A SHORT HISTORY OF THE ATIMID FAT , P 114

ولو ان استخدام النصارى واليهود في الوظائف المدنية هو عرف شائع قليلا أو كثيراً في البلاد الاسلامية ، فقد بالغ الفاطميون انفسهم في استعماله أكثر مما جرت به العادة من قبل «

وعلى الجملة فقد كان الفاطميون يعاملون النصارى واليهود مساملة تنطوى على الحلف والتسامح وعاملوا ابناء هاتين الطائفتين غير مرة معاملة تتجلى فيها المحاباة

ومراعاة خواطرم ، حتى قدوم أرقى المناصب واعلاها في عهد الخليفة العزيز (٣٦٥ — ٣٨٦ هـ) ابن المعز وشغلوا في عهد المستنصر (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ) ومن جاء بعده من الخلفاء معظم الوظائف المالية في الدولة . بل تقلدوا الوزارة أيضا . وتمتعوا بقسط وافر من سياسة التسامح الديني . يشهد بذلك ما كان من بناء عدد من الكنائس أو من اعادتها الى ما كانت عليه من قبل .

ولم تقتصر هذه المعاملة على ما تقدم ، فقد أولم بعض الخلفاء الفاطميين بزيادة اديرة النصارى وكان الأمر يعطى الرهبان في دير نهبيا الواقع بالقرب من الجزيرة عشرة آلاف درهم كلما خرج للصبد بالقرب من هذا الدير ، ويحدثنا أبو صالح الارمني النصراني المتوفي سنة ٦٠٦ هـ . والذي زار مصر بعد انقضاء الدولة الفاطمية بقليل في كتابه « كتاب ديارات مصر » أن موارد الكنيسة المصرية زادت زيادة تذكر في عهد الفاطميين .

اتهى

فهرست

صحيفة	كتاب الخليفة المعز لدين الله الفاطمي
٢	خطبة الكتاب
٣	المقدمة في تاريخ المعز لدين الله بقلم الصحافي القديم (ح)
٦	فتح فاس . فتح مصر
٧	بناء القاهرة . امتلاكه دمشق وبلاد الشام . فتح الرملة . طبريا مسالمة . دمشق تقابل الفتنة
١٠	قدوم المعز لدين الله الى مصر
١١	المعز لدين الله يحارب القرامطة . ناربخ القرامطة
١٤	في دمشق . جنود ابي محمود
١٦	موت المعز لدين الله
١٨	هل تنصر المعز لدين الله . المقالة الاولى للصحافي القديم (ح) في جريدة الثغر
٢٣	أ كذوبة مرقس باشا . المقالة الاولى لسعادة زكي باشا بجريدة الاهرام
٢٩	الرد على صديقي . المقالة الاولى لمرقس باشا بالاهرام
٣١	مقالة احمد زكي باشا الثانية . بالاهرام
٣٧	اتهم مؤسس الازهر بالتنصر . مقالة جريدة السياسة
٤١	اسطورة تنصر المعز لدين الله . مقالة الاستاذ عنان بجريدة السياسة
٥٢	حول اسطورة المعز لدين الله . لفضيلة الاستاذ أبو العزائم بجريدة وادي النيل
٥٥	كلمة أخيرة . لمرقس سميكه باشا بالاهرام
٥٧	المعز لدين الله . للاستاذ عرفه بالاهرام
٦١	كلمة من مرقس سميكه باشا بالاهرام
٦٣	صدق باشا يقضي على الدبسية المرقسية للصحفي القديم (ح) بجريدة الثغر
٦٦	أمير المؤمنين المعز لدين الله . لابراهيم بك جلال . بجريدة المقطم
٦٩	المقالة الثانية له أيضا
٧٣	تصريح فضلية شيخ الجامع الازهر بالاهرام
٧٥	المعز لدين الله الفاطمي . للدكتور حسن ابراهيم حسن بجريدة البلاغ

